الجمهورية الجزائرية الديمقراطية
الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة –
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذ: عبد الهادي حمر العين
البريد الالكتروني:
hamrelaine.abdelhadi@centre-univ-mila.dz

محاضرات في مادة

البلاغة العربية

مقدّمة لطلبة السّنة الأولى ليسانس جذع مشترك
ليسانس لغة وأدب عربي

2021 - 2020

Scanné avec CamScanner

مفردات المادة للسداسي الأول:

الرقم.	مفردات المحاضرة.
01	علم البلاغة مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه - آراء أهل المشرق والمغرب -
02	أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة - المجاز عند المعتزلة نموذجا
03	الأسلوب الخبري وأضربه
04	الأسلوب الإنشائي وأضربه
05	التقديم والتأخير - الفصل والوصل
06	الحقيقة والمجاز – أنواع المجاز
07	التشبيه وأضربه
08	الاستعارة والكناية
09	المطابقة - المقابلة
10	الجناس
11	السجع
12	البلاغة والأسلوبية
13	البلاغة والشعرية
14	بلاغة الخطاب النثري

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة
معهد الآداب واللغات

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر...

قال تعالى:

(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ..)

سورة إبراهيم: الآية:07

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف
معهد الآداب واللغات

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف
قسم اللغة والأدب العربي

دروس في البلاغة العربية

مقدمة:

لا شك أن ظهور علم البلاغة العربية كان فتحا مبينا على العربية وعلومها، ولا غرو أن فصاحة وبلاغة القرآن الكريم والحديث النبوي قد زادا من مكانة هذا العلم في العربية، إذ تهافت الدارسون والمهتمون بفهم النص القرآني والحديث النبوي فألفوا الكتب وتوسعوا في دراستهم وصولا لبلاغة القرآن والحديث، وكان للبلاغة العربية نصيب وافر من هذا الزخم الدراسي؛ بداية من محاولة الفهم وصولا إلى التنظير والتقعيد، وكان من أبرز ذلك ما قدمه الجاحظ والجرجاني إلى مرحلة السّكاكي والزمخشري، إلى مرحلة الأسلوبية والشعرية فيما بعد، ولا ينكر أحد ما قدمه أئمة البلاغة؛ من أراء ونظريات وقواعد حددت مجاز العرب وكناياتهم وتشبيهاتهم إلا جاحد أو حاقد.

نحاول بإذن الله تعالى في هذه الدروس التعليمية – إن حظيت بقبولكم – أن نقف ما أمكننا الوقوف على تبسيط دروس البلاغة لطلاب السنة الأولى ليسانس جذع مشترك من فروع البلاغة العربية (البيان، المعاني، البديع) وتطورها عبر العصور الأدبية، وتأثير ذلك كله على تمكين المتعلم من فهم الدرس البلاغي المدرسة عبر مراحله التعليمية، وكذا معرفة علم البلاغة مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه – آراء أهل المشرق والمغرب ، وأثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة – المجاز عند المعتزلة، ومعرفة الأسلوب الخبري وأضربه

والأسلوب الإنشائي وأضربه، والتقديم والتأخير ومعرفة الفصل والوصل في الكلام، والحقيقة والمجاز – أنواع المجاز ، والتشبيه وأضربه، والاستعارة والكناية، والمطابقة – المقابلة، والجناس، والسجع، والبلاغة والأسلوبية، البلاغة والشعرية، وبلاغة الخطاب النثري دون أن ننسى أن الغرض من دراسة علوم البلاغة بفنونها الثلاثة « المعاني – البيان – البديع، ومحاولات

لتحديد معالمها، ووضع قواعدها، دون أن تستطيع كل هذه البحوث والدراسات جمع تفاصيل علوم البلاغة وجماليتها في الكلام، أو استقصاءها، واكتشاف كل وجوهها.

لأن الجمال كثيرا ما يتذوقه الحس الظاهر والشعور الباطن، دون أن يستطيع الفكر تحديد كل العناصر التي امتلكت استحسانه وإعجابه، وإن عرف منها الشيء الكثير، واستطاع أن يفرزه ويحدد معالمه.

ولا شك أن آفاق الجمال أوسع من أن تحدد أو خضر بأطر ومقاييس، ولكن يمكن اكتشاف بعض عناصر الجمال، وبغض ملامحه.

والغرض من عرض الباحثين لفنون البلاغة وعلومها، وتدعيمها بأمثلة أدبية راقية مقرونة بتحليل بلاغي تعليمي الهدف منه تبسيط الدرس البلاغي لطلاب السنة الأولى ليسانس، وتربية القدرة على الإحساس بعناصر الجمال الأدبي في الكلام الأدبي الرفيع، والقدرة على فهم النصوص الجميلة الراقية، والقدرة على محاكاة بعضها في إنشاء الكلام، والقدرة على الإبداع والابتكار لدى الذين يملكون في فطرهم الاستعداد لشيء من ذلك.

المحاضرة الأولى:

علم البلاغة مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه – آراء أهل المشرق والمغرب –

تعريف البلاغة:

(أ) لغة:

من الفعل بلغ بمعنى وصل، والبلوغ الوصول، قال تعالى: « وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» (القصص 14)؛ أي لما بلغ موسى أشد قوته وتكامل عقله، بمعنى وصل لكمال القوة والعقل معا. وقوله تعالى: « حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً» (الأحقاف 15)؛ أي وصل قوته ووصل سن الأربعين، ويظهر أنها وضعت أول ما وضعت لتدل على الوصول إلى المكان والنهاية إلى الغاية التي يقصدها العرب في بداوتهم ورحيلهم من مكان إلى مكان[1]. نفهم أن البلاغة من بلغ أي وصل.

(ب) اصطلاحا:

البلاغة في اصطلاح اللغويين والمختصين فيها هي أن يصل المتكلم أفكاره ومقصوده إلى السامع المتلقي بأقل الألفاظ أي إيصال المعنى الغزير باللفظ القليل.

قال الأصمعي: « البليغ من طبق المفصّل وأغناك عن المفسّر»، معنى ذلك أن البليغ هو الذي أول المعنى الكبير وأغناك عن تفسير تفاصيله أي أوصل موجزا مختصرا.

وقال أبو العتاهية: « البليغ كل من أوصلك حاجته من غير إعادة»، إذن من أكثر الإعادة والتكرار حرم البلاغة لأن البلاغة –كما قال خطيب العرب أكثم بن صيفي– هي الإيجاز[2]، والبلاغة التمكن في إيصال المقصود إلى المتكلم حسب ما يفهم وحسب ما يطيق من اللفظ، فلا تكلم من كان رصيد لفظه أقل مما تقول، كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخاطب العرب كما يخاطب العجم، فلكل قدره من الفهم للألفاظ المستعملة في الخطاب، جاء

1– البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 10، 2005م، ج17/1.

2– جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط 01، ص 07.

في الصناعتين لأبي هلال العسكري أن النبي إذا راسل أو كتب للفرس سهّل اللفظ، وإذا كتب للعرب فخّم وأجزل[1].

من هذا كله نفهم أن البلاغة في اصطلاح اللغويين هي أن توصل معان كثيرة بألفاظ قليلة دون إعادة أو تكرار أو إرهاق للسامع مراعيا مقتضى الحال، ودرجة فهم السامع للفظك أثناء الخطاب.

كثير من يخلط البلاغة بالفصاحة، فيضعها الموضع الواحد لكن الأكيد أن المختصين وأئمة اللغة لم يجعلوا مجالا للخلط أو اللّبس أو الشك، فيجعلون البلاغة كما أسلفنا، أما الفصاحة فتعرف كالآتي:

❖ **الفصاحة لغة:** مأخوذة من الفعل فصحَ بمعنى بان وظهر وصفا، تقول العرب:« فصح اللبن» إذ زالت رغوته وصفا للشاربين لا شيء يشوبه أو يكدّره، وتقول أيضا:« فصح الصبيّ» إذا نطق الحروف سليمة، وتقول أيضا:« فصح الأعجميّ» إذا تخطى لكنته فنطق حروف العربية كما ينبغي أن تنطق[2]، والفصاحة تكون في ثلاث أمور:

1- فصاحة اللفظ: إذا خَلُصَ اللفظ من التعقيد وتنافر الحروف وسهل نطقه على المتكلم والسامع نعتنا اللفظ بأنه فصيح، وإذا وجدنا في اللفظ تعقيدا أو تنافرا بين الحروف وصعب نطقه وصفناه بغير الفصاحة من ذلك قول الشاعر:[3]

وقبر حرب بمكان قبر

وليس قرب قبر حرب قبر

وهنا نجد صعوبة في نطق البيت لتنافر في الكلمات فلا يود العيب على السامع إذا تلعثم في قراءته، بل العيب لقائله حين جمع كلمات يصعب نطقها لتقارب حروفها، قد يكون سبب هذا ظنّ القائل بأنه بارع في استعمال اللفظ ولكن العكس هو الصحيح.

1- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، دار إحياء الكتب العربية، 1371هـ، ص 160.

2- البلاغة فنونها وأفنانها، ج1/16-17.

3- نفسه، ج1/27.

ورغم أن بعض الشعراء كانوا من الطبقات الأولى إلا أن النقاد صنفوا بعض أشعارهم في خانة غير الفصيح كحال امرئ القيس ففي قوله:

غدائره مستشزرات إلى العلى

تصل المداري في مثنى ومرسل[1]

والتعقيد هنا في لفظ (مستشزرات) حين قارب الشاعر بين السين والشين والزاي وقع تنافر دفع ثمنه السامع بصعوبة نطق الكلمة.

2- فصاحة اللسان: حين يخلوا اللسان مما يعيبه كلثغة فيه أو عيب نطقي لخلل به تعذر على صاحبه نطق الألفاظ بشكل سليم حينها نول بأن اللسان غير فصيح، يقول تعالى:« قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي» (طه 25-28) فلما كان موسى عليه السلام غير فصيح طلب فصاحة لسان أخيه هارون فآتاه الله سؤله قال تعالى:« وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي» (القصص 34)، هنا يتضح لنا جليا دور الفصاحة في توصيل الخطاب شكلا، إذ قد يسخر منك السامع أو يرفض قولك لعيب في اللسان وهنا يستوقفنا ما طلب من واصل ن عطاء حين طلب منه قول: « أمر أمير الأمير حفر بئر في قعر الصحراء فيشرب منه الصادر والوارد، فقرأ: حكم حاكم البلاد نبش جبّ في قاع الفلاة فليسقى من الصادي والعادي».[2]

3- فصاحة المعنى: حين يكون اللفظ فصيح والمعنى معقد مكرور نقول أن المعنى غير فصيح. كقول زهير بن أبي سلمى:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله

ولكنني عن علم ما في غدٍّ عم

1- ديوان امرئ القيس، تحق: عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1425هـ / 2004م، ص 17.

2- وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو بكر ابن خلكان، تحق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، ج08/6.

وغير الفصيح هنا ما قال عن علمه في اليوم والأمس فمعلوم أن الإنسان لعلم ما في اليوم والأمس ولا يعلم ما في الغد، أي أن الشاعر كرر المعنى ولم يفد جديدا أو يقدم إضافة، وكقول العباس بن الأخنف:[1]

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا

وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

فإن غير الفصيح هنا أن الشاعر لم يوفق في طرح حال عينيه لتصوير حزنه الشديد، فكان حرّي به قول تفيضا بدل تحمدا.

ولتداخل البلاغة مع الفصاحة نجد اللغويين قد تأخروا في التفريق بينهما إلى مرحلة لبن سنان الخفاجي في القرن الخامس هجري (ق05 هـ) في مؤلفه "سر الفصاحة" ولم نجد الجاحظ رغم فطانته ودقته قد فرق بينهما، ولا نجد عبد القاهر الجرجاني رغم توسعه في مباحث البلاغة قد فرق بينهما.

❖ **نشأة البلاغة وتطورها عبر العصور الأدبية:**

الحديث عن نشأة البلاغة لا يعني الحديث عن علم البلاغة، فالبلاغة ظهرت عند العرب فنّا وتطورت حتى صارت علما في العصر العباسي الأول، خاصة مع ما قدمه الجاحظ من ملحوظات وقواعد ونظريات أسست لبلاغة عربية أصيلة هدفها الإمتاع والإقناع والتوصيل فكم بيتا شعريا وقع من السامع موقعا حسنا جعله يطرب سماعه، وكم بيتا أو كلاما وقع موقعا جعل السامع ينفر لسماعه أو يشمئز حتى. إذن فالبلاغة كانت في جودة اللفظ وجودة القناع وجودة الإيقاع أو الثلاثة مجتمعة، ولا شك أن كلام الله أولى بالحديث في هذا الباب إذ كله

---

[1]- البلاغة فنونها وأفنانها، ج23/1.

بليغ فصيح، ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم ينطق إلا بكلام بليغ فصيح، كيف لا وهو القائل:« أنا أفصح من نطق الضاد بيد أني من قريش».[1]

ولا شك أن المتتبع للدرس البلاغي عند العرب يجده تطور كالآتي حتى صارت البلاغة علما كغيرها من علوم العربية:

تطور البلاغة العربية:

يعد أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209ه) أول من تكلم عن البلاغة في مؤلفه "مجاز القرآن" وكانت ملحوظاته البلاغة معينا لم جاء بعده فكتب وأنشأ في البلاغة ولكنه لم يبلغ مبلغ الجاحظ أو الجرجاني فيما كتبا عن البلاغة لتوسعهما فيها.

1- لا شك أن ما قدمه الجاحظ أبو عمرو (ت 255ه) يعد مرحلة تأسيس لعلم البلاغة العربية بحق ولا ينكر ذلك إلّا حاقد أو جاحد. فمؤلفه "البيان والتبيين" أو كما يسمى " البيان والتبيُّن" هو فتح على البلاغة العربية إن لم نقل هو تأسيس لها، وقد صرح الجاحظ بعد تأليفه لهذا الكتاب لطلبته بأن النحو مشغلة لهم، ولم يفهم تصريحه بأنه أراد توجيه الطلبة من الانشغال الكبير بالنحو إلى الاهتمام بعلم جديد هو البيان الذي هو من أبرز علوم البلاغة وفروعها.[2]

من هو الجاحظ وماذا قدم للبلاغة حتى نعده مؤسسا لها؟

التعريف بالجاحظ:

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي أبو عثمان كبير أئمة اللغة ومن كبار المعتزلة، ولد ومات في البصرة، ولد عام (159ه) ومات سنة (255ه) متأثرا بالفالج (الشلل النصفي) موسوعة من التأليف والتدوين له: البيان والتبيين، البخلاء، الحيوان.....).

1- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، د. ت، د.ط، ج31/1.

2- البلاغة فنونها وأفنانها، ج71/1.

كتابه البيان والتبيين:

وهو من أعظم الكتب الذي ألفها الجاحظ، وهو يلي كتاب الحيوان من حيث عدد الصفحات، ولم يخرج الجاحظ في مؤلفه هذا –البيان والتبيين– أو مؤلفاته الأخرى عن النزعة الفلسفية العقلية التي عرف بها، ولم يغفل في جميع ملحوظاته في كتابه هذا عن التحليل والتعليل والنقد، إذ كان لا يقبل أيّ شيء لا يراه منطقيا، أو يرفضه عقله، إذ كان لا يكتفي بمجرد نقل ما سمع أو رأى، بل كان من خلال "بيانه" أن يضع أسسا لغوية وبلاغية تكون أرضية لعلم البلاغة، إذ يجمع الكثيرون على أن الجاحظ في مؤلفه "البيان والتبيين" أنه تأسيس حقيقي لعلم البلاغة، وولادة أكيدة لها، يقول أبو هلال العسكري في الصناعتين: «البيان والتبيين أكبر كتب البلاغة وأشهرها، وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة، وغير ذلك من فنونه المختارة ولغوته المستحسنة إلّا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتثرة في أثناءه ».[1]

لا شك أن هذا الحكم يعد دليلا على مكانة الكتاب وصاحبه في التأسيس لعلم البلاغة.

2– بعده كتب ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ) الذي أحاط بكتاب الله وتكلم عن غريب القرآن، كان عالما ولغويا وناقدا [2] له: الشعر والشعراء، وأدب الكاتب، تعمق فيهما في تصيُّد المعاني في شق ممتع وتبويب حسن، وقد ذكره النقاد بأنه موسوعة معرفية وخزان علمي لا يستهان به.

3– ثم كتب بعده ابن المعتز أبو العباس الأديب والشاعر (ت296هـ) كتابه البديع الذي يعد إضافة حقيقية للبلاغة العربية، ولعل أكثرنا يعتقد أن هذا المؤلف يتحدث عن المحسنات

---

[1]– العُمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، أبو علي ابن رشيق القيرواني، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط.05، 1981م / ج171/1.

[2]– البلاغة فنونها وأفنانها، ج72/1.

البديعية، وهذا خطأ يقع فيه من لم يتصفح الكتاب، إذ يتناول هذا الكتاب أبواب البيان والبديع، لم يسبقه إليها أحد من قبله، يقول صاحبه:« وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد»[1] يقول عبد المنعم خفاجي عن بديع ابن المعتز:« إذا قلنا إنّ ابن المعتز ألف في البيان فقد سيرنا مع الحق والتفكير السليم، وإذا قلنا إنه ألف في البديع فقد ضيقنا دائرة البحث بغير مبرر»[2]

4- جاء من بعده قدامة ابن جعفر بن زياد (337هـ) صاحب "نقد الشعراء" ومن وقته انقسمت الدراسات البلاغية إلى قسمين:

1/ المهتمون بإعجاز القرآن:

أ- أبو الحسن الرماني المعتزلي النحوي المتوفي (384) صاحب "النكت في إعجاز القرآن" ويعد هذا المؤلف رسالة بلاغية قيّمة تتناول الإعجاز اللغوي والنحوي في القرآن الكريم.

ب-محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفي (388هـ) صاحب "البيان في إعجاز القرآن" تحدث فيه عن أقسام البلاغة، وحسن اختيار اللفظ وأشعار العرب.

ج- أبو بكر محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني القاضي والعالم المتكلم الشهير، المتوفي (403) الذي أثار جدلا بمؤلفه النفيس "إعجاز القرآن".[3]

تناول أصحاب هذا الاتجاه بلاغة القرآن من ناحية الإعجاز والصورة وكانت جهودهم كبيرة في هذا الشأن.

---

[1]- كتاب البديع، أبو العباس عبد الله ابن المعتز، شرح وتحق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط.01، بيروت – لبنان، 1433هـ / 2012م، ص 05.

[2]- نفسه، ص 17.

[3]- البلاغة فنونها وأفنانها، ج1/72-73.

2/ المهتمون بالبيان بصفة عامة، وما الإعجاز إلّا موضوع من مواضيعه، وخير من يمثل هذا الاتجاه:

أ- أبو هلال العسكري اللغوي والأديب والشاعر المتوفي (395) صاحب الصناعتين، ويتناول فيه صناعة الشعر وصناعة النثر، وهو مؤلف نفيس فيه يتناول بلاغة الشعر والنثر. وله أيضا: الكتابة والشعر.

ب- ابن رشيق القيرواني المتوفي (464هـ) صاحب الكتاب الذي أبهر ابن خلدون، القيرواني ذلك الشاعر والأديب واللغوي الشهير الذي تناول فيه الشعر ومحاسنه والبلاغة وفنونها.

ج- تأليف عبد القاهر الجرجاني النحوي والفقيه المتوفي (41هـ) لمؤلفين بارزين في البلاغة وبالأخص البيان والمعاني وهما:

- أسرار البلاغة: الذي ركز فيه على الجانب البياني من مجاز واستعارات وتشبيه في الكلام وأكثر فيه من التعليل والتحليل والتعقب، وذال ذلك على سعة معرفته بكلام العرب رغم فارسيته.
- دلائل الإعجاز: وأعد فيه نظرية تعد من أكبر النظريات التي تتناول الجملة بتفاصيلها وهي نظرية النظم، بأركانها المعروفة:
  - ✓ التقديم والتأخير في الجملة.
  - ✓ الخلاف في الجملة.
  - ✓ الفصل والوصل في الكلام.
  - ✓ الفروق في الجملة.

د- ألف في القرن الخامس الهجري ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) وهو صاحب "سر الفصاحة" الذي يعد نقلة البلاغة من التأليف إلى التنظيم، فابن سنان يعد أول من فرّق بين البلاغة والفصاحة وذلك فضل لم ينكره له أحد.

هـ- وألف في هذا القرن –الخامس هجري- ابن الأثير المتوفي (637هـ) صاحب المثل السائر الذي يعدّ موسوعة لغوية في النحو والبلاغة خاصة.

و– جاءت بعد ذلك مرحلة التطبيق على التنظير فطبق الزمخشري جار الله المعتزلي المتوفي (538هـ) نظرية النظم على تفسير القرآن، فجاء الكشاف، وهو مؤلف ثمين في البلاغة يظهر براعة صاحبه في التعامل مع اللفظ والمعنى.

ز– ثم جاءت بعده موسوعة السّكاكي أبي محمد بن علي الخوارزمي المتوفي (626هـ) صاحب " مفتاح العلوم في البلاغة"، وعدّ هذا الكتاب موسوعة شاملة في البلاغة والنحو والصرف والعروض[1]، لما فيه من ملحوظات وأساسيات في علوم اللغة وآدابها ويعد السكاكي أول من فرّق بين علم البيان وعلم المعاني[2] إذ حتى هذه الفترة كانا متصلين، ومباحثهما متداخلة.

ح– ثم جاء بدر الدين بن مالك –وهو أحد أبناء مالك صاحب الألفية– توفي (680هـ) ويعد بدر الدين أول من جعل للبديع بابا خاصا به[3]، بعد أن جعل السكاكي للبيان بابا وللمعاني بابا، وهنا تكون البلاغة في أوج قوتها واتضحت معالمها، وتأسست مباحثها.

ثم جاء في مرحلة التلاخيص، إذ نجد القزويني الخطيب المتوفي (739هـ) قد لخص مفتاح العلوم، فسمى كتابه " التلخيص في علوم البلاغة" وشرحه في "الإيضاح" ثم شرح السيكي عبد الوهاب بن تمام الأنصاري المتوفي (771هـ) كتاب التلخيص، فأصبح به باستطاعة القارئ البسيط أن يتعامل مع البلاغة بيسر، أو دون مشقة بالغة إن صح القول، ثم شرح سعد الدين التفتازني النحوي والبلاغي كتاب سابقه في مؤلفين بسط فيهما مباحث البلاغة والنحو والصرف هما: المختصر، والمطول.[4]

وتطورت البلاغة بعد ذلك سنتحدث عن تطورها في مباحث لاحقة بإذن الله تعالى.

---

[1]– مفتاح العلوم في البلاغة، أبو بكر محمد بن علي السَّكاكي، تحق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط. 01، بيروت – لبنان، 1403هـ / 1983م، ص 07–08.

[2]– البلاغة فنونها وأفنانها، ج74/1.

[3]– نفسه، ج1/ 74–75.

[4]– مفتاح العلوم في البلاغة، ص.ج.د. من المقدمة.

فروع علم البلاغة:

يقصد بفروع علم البلاغة علومها التي تدرسها وتهتم بها، وأول فروعها علم المعاني؟، وثاني فروعها علم البيان، وآخرها علم البديع.

1- علم المعاني:

لا شك أن الجرجاني عبد القاهر أكثر علماء اللغة تطرقا لعلم المعاني، إذ نجده في كتابه "دلائل الإعجاز" يخصص له مجالا واسعا، ومباحث عدة من خلال نظريته الشهيرة "نظرية النظم" وقد كان في ملحوظاته البلاغية دقيق النظر شريف المقصد، يقول أحمد مطلوب: « إنه يعرض الفكرة عرضا هادئا ثم يقلب الأمر على وجوهه حتى يصل إلى النتيجة التي يسعى إليها».[1]

وقال عنه المتقدمون: « كان من أكابر أئمة العربية والبيان».[2]، والجرجاني كما ذكرنا له كتابان نفيسان في اللاغة وعلومها هما: "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة"، وقد اختلف الدارسون والمهتمون باللغة والبلاغة في أيّهما أسبق على النحو الآتي:

- رأي يقول بأسبقية الدلائل على الأسرار ويرى به د.محمد خلف الله أحمد والدكتور أحمد بدوي و د.شوقي ضيف ومحمد بن تاويت.[3]

- رأي يقول بأسبقية الأسرار على الدلائل ويرى به الشيخ عبد الرزاق علي، والدكتور أحمد إبراهيم موسى، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.

- ماذا يدرس علم المعاني؟

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات ، ط. 01، الكويت،1393هـ / 1973م، ص 18.

[2]- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ج106/2.

[3]- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب، ص 30.

يدرس علم المعاني الجملة وتفاصيلها ومكنوناتها وما يطرأ عليها من: تقديم وتأخير، تعريف وتنكير، خبر وإنشاء، حذف وتكرار، تقيد وإطلاق، فصل ووصل، إيجاز، مساواة، إطناب، قصر، إسناد...

إذن فعلم المعاني يدرس كل هذه الأمور وغيرها في الجملة العربية، ولعل الجرجاني توسع في هذه المباحث لأنه أغفل عليها في كتاباته السابقة، ظنّا منه أنها مباحث ثانوية وغير أساسية في الجملة، يستدرك ذلك ويؤلف دلائله وينشأ نظرية النظم الشهيرة.

ونظرية النظم تنطلق من أمرين هما:

أ- المعنى الذي نريد التحدث عنه.

ب- اللفظ الذي نعبر به عن هذا المعنى.[1]

واختلاف اللفظ يؤدي بالضرورة إلى اختلاف المعنى والنحو، وعلم المعاني علم يهتم بترتيب الألفاظ في الجملة، وترتيبها يغير المعنى. فإذا قلت: نجح زيد ليس كقولك: زيد نجح.

فالأولى:

نجح زيد: تبدأ بالنجاح وتهتم به، قبل ذكر زيد، وكأن زيد لم يفاجئنا بنجاحه، إذ كان من المتفوقين، كما أن إعرابها يكون كالآتي:

نجح: فعل ماضي مبني على الفتح.

زيد: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

أما قولنا:

زيد نجح: فقد بدأنا بذكر زيد، كأن زيد فاجأنا بنجاحه، ولم يكن من المتفوقين مثلا، وإعرابها:

[1]- البلاغة فنونها وأفنانها، ج85/1.

زيد: مبتدأ مرفوع بالضمة.

(نجح): جملة فعلية من فعل وفاعل مستتر في محل رفع خبر.

2- علم البيان:

علم البيان من المباحث الهامة في البلاغة، بل هو أبرز فروعها على الإطلاق، وكان من أبرز علماء اللغة طرحا وتطرقا بهذا العلم هو الجاحظ، وقد تعمق فيه كثيرا في مؤلفه البيان والتبيين، ونظرا لاهتمام طلاب العلم في زمانه بالنحو فقد صرح تصريحا لم يفهمه الكثير منهم، بل أثار جدلا بذلك وانتقد من أجل هذا التصريح الذي يقول فيه:« وأما النحو فلا تشغل قلب الصبي به إلّا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد عن ذلك فهو مشغلة مما هو أولى به»[1]، لم يفهم هذا التصريح فهما بريئا، وربما أراد الجاحظ بتصريحه هذا توجيه طلاب العلم آنذاك إلى قراءة كتابه، والاطلاع على علم البيان، هذا العلم الجديد الذي أراد الجاحظ التأسيس له، ولعلم البلاغة.

إذن تصريح الجاحظ لم يرد به التقليل من شأن النحو ودراسته، والانشغال به، ولكن أراد لعلم البيان الانشغال به أيضا.

- ماذا يدرس علم البيان؟

يدرس علم البيان الصورة البيانية في الكلام، فهتم بـ: الكناية، والمجاز بأنواعه، والاستعارة، ولا شك أن للصورة جمالية يقصدها المتكلم، لا يكشفها إلّا البياني البارع، فيبين أسرار وخبايا ومكنونات أرادها المتكلم فيكشفها، ويكشف أغراضه، فيفهم المتلقي ما أراد المتكلم أن يصل إليه.[2]

---

[1]- رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحق، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1384هـ / 1964م، ج1، ص 171.

[2]- البلاغة فنونها وأفنانها، ج124/2.

ويعد أول من طرب باب هذا العلم هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه "مجاز القرآن" ولكنه لم يوفق في التنظير والتقعيد له كما وفق الجاحظ.

3- علم البديع:

ويدرس المحسنات اللفظية والمعنوية التي تجمل الكلام وتحسنه، وتضعه في نفوس السامعين بصيغة سلسة عذبه تشدهم شدّا، وكان البديع أول ما كان يطرق مع المعاني والبديع، لا يفرد له باب خاص به، ولعل بدر الدين بن مالك[1]، يعد أول من جعل للبديع بابا خاصا به، ويدرس هذا العلم أو الفرع من فروع البلاغة:

أ- المحسنات اللفظية وتتطرق إلى: (الجناس، السجع، التصريع، الاقتباس، التضمين).

ب-المحسنات المعنوية وتتطرق إلى: (الطباق، المقابلة، التورية).

وننبه في هذا المقام إلى أن كتاب البديع لابن المعتز لم يكن خاصا بالمحسنات البديعية، وأنه اهتم بمباحث البلاغة كلها من بيان ومعان وبديع، وسمى كتابه البديع، وقصد بديع الكلام.

❖ **آراء أهل المشرق والغرب في البلاغة:**

يحسن بنا في هذا المبحث أن نفرد لكل فريق رأيه فنقول:

1- رأي أهل المشرق في البلاغة:

نرصد أشهر الآراء التي قيلت في البلاغة من قبل علماء اللغة بين مشرق ومغرب:

➢ **آراء أهل المشرق في البلاغة:**

لا شك أن المشارقة قد قالوا في البلاغة أقوالا كثيرة لا يمكن حصرها في أسطر ولكن لا بأس أن نذكر أبرزها:

[1]- البلاغة فنونها وأفنانها، ج71/1.

- عبد الله ابن المقفع (المتوفي 145): يرى أن البلاغة اسم يجري في وجوه كثيرة؛ منها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطبا، وربما كانت رسائل، فعامة هذه أبوابها، والإيجاز هو البلاغة.[1]

- الراغب الأصفهاني (المتوفي 502هـ): له رأي ثاقب إذ يرى أن البلاغة على وجهين:

1. أن يكون الكلام بليغا بذاته، فيجتمع فيه (صواب في اللغة، مطابقة اللفظ للمعنى المقصود، الصدق في النفس).

2. أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له (السامع) فيصح حمله على معنيين [2]. وهو بذلك يرى أن البلاغة تكون في المتكلم الفصيح والكلام الفصيح أيضا.

- عبد القاهر الجرجاني (المتوفي 471هـ): يقول في أسرار البلاغة:« واعلم أن غرضي في هذا الكلام –يقصد البلاغة– الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصل أجناسها وأنواعها، وأتتبع خاصّها ومشاعها، وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل»[3]، إذ نراه يهتم كثيرا بثنائية اللفظ والمعنى وما بينهما من علاقة وطيدة.

- جار الله الزمخشري (المتوفي 583هـ): ويرى أن البلاغة أكبر علم وأجل فن يسهم في تفسير القرآن، إذ يعد كشافه تطبيق عملي لنظرية النظم في تفسير القرآن، يرى أنه لا يغوص رجل في تلك الحقائق والطرائق إلّا من برع في علمين مختصين بالقرآن هما: علم البيان وعلم المعاني.[4]

- **آراء أهل المغرب في البلاغة:**

لم يختلف أهل المغرب عن المشرق كثيرا في رؤيتهم للبلاغة وتتلخص آراؤهم في:

---

[1]– البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحق، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت، ج115/1.

[2]– البلاغة فنونها وأفنانها، ج58/1.

[3]– أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تحق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط. 01، بيروت – لبنان، 1422هـ / 2001م، ص 28.

[4]– البلاغة فنونها وأفنانها، ج63/1.

- حازم القرطاجني (المتوفي 684هـ): يرى أن هناك نظاما يحكم الكلام، وهذا النظام هو سر التعجيب الذي يحدثه الكلام في النفوس، ولولا ذلك النظام لكانت الفصاحة مركبا سهلا وغير معجز لأحد.[1]

- ابن رشيق القيرواني (المتوفي 456هـ): وهو صاحب العمدة الذي يعد من المؤلفات النفيسة في البلاغة ويركز على مسألة التضمين والحشو في الحديث عن الشعر والبلاغة ويراهما مقياسان للجودة أو قلتها[2].

- السجلماسي (المتوفي 704هـ): يرى أن البلاغة ترتكز على التصريف والمبالغة.

المحاضرة الثانية:

أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة – المجاز عند المعتزلة نموذجا

❖ أثر الفرق الكلامية في تأصيل علم البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا):

قبل الحديث عن هذا الموضوع، يستحسن التعريف بعلم الكلام وأسباب ظهوره وأهم علمائه.

تعريف علم الكلام: مأخوذة من الكلام أي الحديث والجدال والحوار مع وجود الحجة والدليل على ما تقول وتجادل به ويعرفه محمد علي التهانوي بأنه: « علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير، بإيراد الحجج ودفع الشبه، ويسمى علم أصول الدين، ويسمى أيضا علم النظر والاستدلال، ويسمى علم التوحيد والصفات، وسمّاه أبو حنيفة "الفقه الأكبر"»[3] إذن المتكلمون طائفة من العلماء تجادلوا في الدين وعقائده وتحاوروا فيه بالحجة والدليل وأقنع بعضهم خصومه، ورفض بعضهم ما تجادلوا فيه. ويبدأ علم الكلام بظهور أفكار الحسن البصري، وما دار في حلقات ذكره، إذ تناولت مواضيع حساسة في الدين تطرق إليها الحسن

---

[1]– كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، ط. 01، لبنان، 1996م، ج29/1.

[2]– انظر: أثر علوم اللغة في نقد المغاربة القدامى، داود محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2011/2010م، ص 153.

[3]– منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط. 03، 1986م، ص 124.

وجلساؤه أول مرة، ولم يتعود العرب على مناقشة مثل هذه الأفكار، وأبرز هذه الأفكار والأصول التي كانت محل جدال ونقاش في العصر الأموي:

- مسألة خلق القرآن، ومسألة صفات الله. وهنا بدأت تظهر الفرق الكلامية وأول هذه الفرق المعتزلة حين اعتزل واصل بن عطاء وهو من جلساء الحسن البصري –مجلس الحسين–فقال الحسين: « اعتزل واصل مجلسنا»، فسميت فرقة واصل ومن تبنى فكره بالمعتزلة.

والأفكار والأصول التي اختلف فيها الحسن البصري وواصل بن عطاء هي:

- ✓ المنزلة بين المنزلتين.
- ✓ الوعد والوعيد.
- ✓ العدل.
- ✓ التوحيد.
- ✓ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتعرف بالأصول الخمس عند المعتزلة، ولا شك أن ثمة أسبابا جعلت المتكلمين على رأسهم المعتلة يتجادلون ويتحاورون في هذه المسائل وطرقها لأول مرة، من هذه الأسباب:

- ✓ ترجمة كتب الفلسفة: وهي كتب تتحدث عن الكون والمادة، وما وراء الطبيعة، المنطق.
- ✓ الإفراط في تحكيم العقل في كل المسائل.
- ✓ التعرض للمسائل الغامضة كتجسيم الله والتطرق لصفاته، ونهاية الإنسان وخلوده في النار أو الجنة.
- ✓ القصص في المساجد، وكان القصاص يملؤون المساجد ويخربون عقول الناس منذ وقت سيدنا عثمان رضي الله عنه، وكان علي رضي الله عنه يطردهم لأفكارهم وخرافاتهم بعض المرات. وخاصة بعد انتشار الإسرائيليات وتأثر الناس بالقصاص لسلاسة أسلوبهم.

✓ الجدال في المسائل المتشابهة في القرآن، لقوله تعالى: « هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» (آل عمران 7-8).

✓ استنباط الأحكام الشرعية: ويرى بعض علماء الشريعة أن هذه الأسباب والاختلافات ليست خطرا بل محمودة العواقب لاستنتاج الأحكام الشرعية وتوضيح العقيدة.[1]

وتشاطره الرأي عالم يكن من فكر يقود غلى الكفر أو ابتغاء الفتنة والزيغ.

ولو تقصينا أثار الصحابة –رضوان الله عليهم جميعا– ما وجدنا واحدا منهم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صفات الله[2]، فقد اكتفوا بما وصف النبي ربه سبحانه وتعالى، فسكتوا عن ذلك، إذ اكتفوا بصفات الأزلية، والعلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع والبصر، والجلال، الكرم، الإنعام، والعزة والعظمة...التي يتفق عليها العالم وغير العالم.

تعد مسألة القدر من المسائل التي أثارت الكلام والجدال بين العلماء، إذ ألقى المشركون مسؤولية شركهم على القدر، يقول تعالى: « سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ» (الأنعام 148)

وتعد مسألة القدر من أصعب المسائل وأكثرها تعقيدا حين تثار، يروى أن عمر بن الخطاب سأل سارقا. لم سرقت؟ فقال السارق: قضى الله ذلك عليّ وقدّره. فأقام عليه الحكم وجلده، فقيل لعمر –رضي الله عنه– لما جلدته؟ قال لأنه افترى على الله كذبا.

---

[1]– تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص 15-16.

[2]– نفسه، ص 93.

ويجب أن نفرق في هذا المقام بين قدر الله ومشيئته وبين الحذر من الوقوع فيه، فينبغي على الإنسان أن يأخذ بأسباب الحذر والوقاية ما أمكنه ذلك وللقدر مشيئته.

ومسائل الاختلاف كلها تدور تقريبا حول قضية الجبر والاختيار[1]، بمعنى: هل الإنسان مسيّرا أو مخيّرا في ارتكاب أفعاله؟

المعتزلة فكرها واختلاف علمائها:

اختلف الحسن البصري وواصل بن عطاء كما ذكرنا في الأصول الخمسة، ومنطلق ذلك مرتكب الكبيرة وخلق القرآن وصفات الله، أي أن منشأ الخلاف وجوهره هو هذه المسائل.

المعتزلة ومسألة القدر:

تناول المعتزلة مسألة القدر حتى سماهم الناس بالقدرية، وكان ذلك نهاية خلافة علي رضي الله عنه حوالي سنة (40هـ)، وانقسموا في هذه المسألة إلى:

الجبرية: ويرون أن الإنسان مسير لا مخير في ارتكاب أفعاله، أي مجبر على ما يفعله، وقد ..... في ذلك بأن قالوا: إنّ كل فعل للإنسان هو إرادة الخالق.

القدرية: ويرون أن الإنسان يقوم بأفعاله بإرادته مستقلا عن إرادة الله سبحانه وتعالى[2]، وليس معنى تسميتهم بالقدرية أنهم يقولون بالقدر كما يظن البعض، بل العكس من ذلك أي: يقولون بعكس القدر أي فكرهم هو أن الإنسان صانع لأفعاله باختيار مطلق.

ويسمون أيضا أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالعدلية والقدرية، وقد جعلوا لفظ القدرية مشتركا، وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره للإنسان، والخصومة في

[1]– تاريخ المذاهب الإسلامية، الإمام محمد أبو زهرة، ص 98.

[2]– نفسه، ص 106.

القدر وانقسام الخير والشر على الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل، وإحالة الأفعال كلها على القدر المحتوم، أي مشيئة الخالق.[1]

ويعد الكلام في صفات الله بإثباتها له أو نفيها عنه من المسائل القديمة التي نجدها في الديانات الأخرى، إذ نجد الهمود قد خاضوا في هذه المواضيع وأطالوا، يقول البيروني:« العالم بذاته سرمدا، إذ العلم الطارئ يكون لما لم يكن بمعلوم، وليس الجهل بمتجه عليه في وقت ما، أو حال ما، يقول السائل: فهل له من الصفات غير ما ذكرت؟ يقول المجيب: له العلو التام في القدرة لا المكان، أي يحلّ عن التمكن، وهو الخير المحض التام الذي يشتاقه كل موجود»[2]؛ أي يجعلون الأفعال للخالق ويخصون الخير منها، وقد يجعلون الشرور للإنسان.

إذن فالقدرية أجمع أصحابها أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، ويستحق الثواب والعقاب على ما يفعله في الدار الآخرة، والرّب تعالى أن يضاف إليه شر وظلم، لأنه تعالى لو خلق الظلم كان ظالما، كما لو خلق العدل كان عادلا.[3]

وهنا ظهر مشكل التأويل، خاصة تأويل صفات الله، هل ثمة مجاز في القرآن أم كله حقيقة، وتعد المعتزلة أبرز فرقة خاضت في المجاز.

المعتزلة والمجاز:

انطلاقا من الحديث عن صفات الله وخلق القرآن نلج إلى المجاز عند المعتزلة.

---

[1]– المِلل النِّحَل، أبو الفتح أبو بكر أحمد الشهرستاني، تحق: عبد الهزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 1387هـ / 1968م، القاهرة، ج43/1.

[2]– انظر: تحقيق ما للهند مقولة مقبولة في العقل أو مزدولة، أبو الريحان البيروني، ص 13.

[3]– الملل النحَل، الشهرستاني، ج45/1.

تعريف المجاز:

لغة: عن الفعل تجاوز أي تعدى، وهو مشتق من جاز الشيء يجوزه إذ تعداه، فسموا به للفظ الذي يعدل به عما يوجبه أصل الوضع، لأنهم جازوا به موضعه الأصلي.[1]

معنى ذلك أن اللفظ يستعمل لما وضع له في الحقيقة، وهذا هو الأصل في تسمية المسميات والأشياء، فإذا قلنا الأسد: فإننا نقصد به ذلك الحيوان المفترس الذي يعيش في الغابة، وإذا قلنا البحر: فإننا نعني به الكم الهائل من الماء يكون أكثر من النهر وأقل من المحيط، وإذا قلنا الشمس: فإننا نقصد ذلك الكوكب المضيء. فإن استعملنا هذه المسميات لغير ما وضعت له (أسد: حيوان مفترس)، (البحر: كمٌّ من الماء)، (الشمس: كوكب مضيء)، دخلنا في المجاز، إذن: المجاز هو تجاوز المسمى الذي وضعت له اللفظة كأن تقول: لاكم الأسد، وتصدق البحر، صلت الشمس.

والمجاز مصدر ميمي من جاز الشيء جوازا إذا تعداه، ويمكن أن يكون اسم مكان كقولهم: جاز الطريق مجازا، أي سلكه، والحقيقة تكون في الشيء الثابت، والمجاز في التعدي[2]، والمجاز أيضا أغضى وتعني السّير والتسامح والتخطي.[3]

اصطلاحا: المجاز هو استعمال اللفظ لغير ما وضع له، فالحقيقة في اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز هو المستعمل لغير ما وضع له، مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي[4]

معنى ذلك أن المجاز هو تجاوز صلاحية اللفظ لما وضع له كما بيّنا قبل قليل (الأسد وضعت في الحقيقة للحيوان المفترس) و(البحر وضعت للماء الكثير) و(الشمس وضعت للكوكب المضيء)، فإن قلت: (لاكم الأسد بشجاعة في الحلبة) و (تصدق البحر على

---

[1]– جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص 249.

[2]– البلاغة فنونها وأفنانها، ج124/2.

[3]– علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د. محمد أحمد القاسم، و د. محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط. 01، 2003م، لبنان، ص 184.

[4]– البلاغة فنونها وأفنانها، ج125/2.

المحتاجين) و (حفظت الشمس القرآن) فإنني بذلك تجاوزت صلاحية اللفظ لما استعمل له أو وضع له. ومعنى القرينة المانعة أي اللفظ الذي منع تبادر الحقيقة للذهن.

المجاز في رأي المعتزلة:

قبل الحديث عن المجاز لابد من تحديد معنى الحقيقة، الحقيقة: هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل، أو هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة.[1]

لقد خلق المجاز ثورة حقيقية ونقلة فكرية أثرت الدرس البلاغي بعامة وعلم البيان بخاصة، وكان رواد ذلك ابن هانئ النظام(المتوفي 221هـ) والجاحظ (المتوفي 255هـ) منطلقين ممّا عند الأمم الأخرى من مجاز وحقيقة، وآراء في البلاغة ومسائلها المتشابكة، وما "البيان والتبيين" للجاحظ إلّا صورة من ذلك التشابك والفكر المتأثر بالأجانب[2]، يقول الجاحظ في بيانه:« قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليزناني ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام، وقيل للرومي ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة، وقيل للهندي ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة».[3]

والمجاز عند المعتزلة وعند غيرهم نوعان:

أ- المجاز العقلي ب- المجاز اللغوي

والمجاز اللغوي نوعان: أ - المجاز المرسل ب- الاستعارة

والاستعارة نوعان: أ- تصريحية ب - مكنية

وسنتاول مبحث المجاز لاحقا بشيء من التفصيل إن شاء الله.

---

[1]- مفتاح العلوم في البلاغة، السكاكي، ص 358.

[2]- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، الإسكندرية، ط. 09، مصر، 1995م، ص 35.

[3]- البيان والتبيين، الجاحظ، ج88/1.

المحاضرة الثالثة:

الأسلوب الخبري وأضربه:

يرى علماء البلاغة والنحويون أن الكلام إما خبري وإما إنشائي ولا ثالث لذلك، والكلام إما يحتمل لذاته الصدق أو الكذب فهو خبري، وإما أن لا يحتمل صدقا أو كذبا فهو إنشائي، يقول الدكتور حسن فضل عباس:« الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب، باعتبار ركونه مجرّد كلام، دون النظر إلى قائله، ودون النظر إلى كونه مقرنا بما يدل على إثباته حتما، أو نفيّه حتما، ومدلوله لا يتوقف عند النطق به».[1]

تعريف نراه شاملا للخبر، إذ يبين ويفسر مواطن اللبس الذي قد يختلف فيها السامع، وهو إنساب الكلام لقائله فيصبح كاذبا مطلقا أو صادقا مطلقا. وفي الحقيقة الجملة تسمع ويحكم عليها بمعزل عن قائلها، فالقائل قد يكون صادقا في قولته ويحكم عليها بالكذب لعادة جرت في أقوال المتكلم، كأن يكون متهما بالكذب. ويعر الخبر مصطفى الصاوي الجويني بقوله:« أسلوب الإخبار ويعنون به كل كلام يدخله التصديق أو التكذيب أي أن النسبة الكلامية المفهومة من النص حين تطابق ما في الخارج؛ يكون الخبر صادقا والمخبر به صادقا، أو غير مطابقة فيكون الخبر كاذبا والمخبر به كاذبا»[2]. بمعنى كلامه أن الكلام صادق إن طابق الواقع، وكاذب إن خالفه وفي هذا الحكم تكذيب للقائل إن توقع شيئا وحصل غير ما توقع، وفي هذا آراء نرصدها بعد نقطة نراها هامة في هذا السياق، وهي: ماذا نعني بالصدق والكذب في الكلام؟ أو بمعنى آخر متى نحكم على الكلام بأنه صادق أو كاذب؟

تعريف الصدق: الصدق ما طابق الواقع مطلقا وتحقق إن وقفنا عليه، أي إذا قلت المطر يهطل، وخرجت ووجدت هطول المطر فالكلام صادق، أو ما طابق الاعتقاد أي أن المتكلم أو المخبر قال: المطر يهطل ثم تجد مطرا بالخارج، إن اعتقد المتكلم أن المطر يهطل فهو ليس

---

[1]– البلاغة فنونها وأفنانها، ج167/1.

[2]– البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2002م، ص 11.

كاذبا، كأن سمع صوت الحنفية مثلا ولم يخرج من غرفته، وسأله أحدهم أيهطل المطر عندكم فيقول: نعم، هنا اعتقد هطول المطر فهو صادق رغم عدم هطول المطر. وهناك كلام لا يحكم عليه إلّا بالصدق، فهو صادق مطلق وهو كلام الله ورسوله، وهناك كلام كاذب مطلق وهو كلام المنافقين.

يرى جمهور العلماء من أهل اللغة والبلاغة أن الصدق هو ما طابق الواقع.[1] أي أن الكلام ما وافق الواقع وتحقق فهو صادق وما خالف ذلك فهو كاذب.

ويرى النظّام بن هانئ شيخ الجاحظ في الاعتزال أن الصدق ما طابق الاعتقاد.[2]

ويرى الجاحظ أن الصدق ما طابق الواقع والاعتقاد معا، وقد نصل في ذلم رؤيته بأن الخبر ثلاثة أقسام:

- ✓ هناك خبر صادق وهو ما طابق الواقع والاعتقاد معا.
- ✓ هناك خبر كاذب وهو ما خالف الواقع والاعتقاد معا.
- ✓ هناك خبر لا يوصف بالصادق والكاذب وهو الذي طابق الواقع وخالف الاعتقاد، أو طابق الاعتقاد وخالف الواقع.[3]

تعريف الكذب: هو ما خالف الواقع على رأي الجمهور من أئمة اللغة، أو ما خالف الاعتقاد على رأي النظّام، أو ما خالف الواقع والاعتقاد على رأي الجاحظ. ويرى الدكتور محمد أحمد قاسم:« الخبر هو الذي يحتمل الصدق أو الكذب إن كان مطابقا للواقع، والكذب إن كان غير مطابق للواقع أو لاعتقاد المخبر في رأي»[4]. ويرى أيضا أن ما ذهب إليه النظّام والجاحظ من اعتقاد راجع إلى تأثرهما بالمذهب الاعتزالي، ولكن لا نرى مما رآه الجاحظ أو أستاذه، ما

---

[1]– البلاغة فنونها وأفنانها، ج101/1.

[2]– نفسه، ج102/1.

[3]– نفسه، ج1/ 104–105.

[4]– علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم، ص 269.

يدعو إلى الريبة أو الشك بل رأيهما أراه صوابا، فربط الصدق بالواقع تضيق الحكم على المتكلم.

وشرط الدكتور عبد الرحمن حسن الميداني التفريق بين الخبر والمخبر به أي ناقل الخبر، لمعرفة الصدق من الكذب، ويقسم ذلك إلى أربعة أنواع:

1. الخبر الصادق أو الخبر الصدق، هو ما كان الكلام فيه مطابقا للواقع حقيقة.
2. الخبر الكاذب أو الخبر الكذب وهو ما كان الكلام فيه مخالفا للواقع حقيقة.
3. المخبر الصادق هو الذي يخبر بخبر يدعي أنه صادق فيه، معتقدا أنه صادق فيه.
4. المخبر الكاذب هو المخبر الذي ينقل خبرا يدعي أنه صادق فيه، معتقد أنه باطل وكذب.[1]

وربما هذا الكلام لا يتناقض مع ما قلناه سابقا بل يدعمه ويؤكده.

الفائدة من الخبر:

يتفق البلاغيون على أن فائدة إلقاء الخبر على مسامع المتلقي إنما يكون لأمرين هما:

1. إفادة المخاطب بالحكم الذي تضمنه الخبر، إذا كان السامع جاهلا به، ويسمى هذا النوع: فائدة الخبر كقوله تعالى:« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا» (طه 105)، فالسامع لا يعرف مصير الجبال مطلقا.

2. إفادة المخاطب إن كان المتكلم عالما بالحكم أو بالخبر ويسمى: لازم الفائدة[2]، كقوله تعالى:« إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (النمل 44)، وهنا تعلم سبأ أنها ظلمت نفسها فرجعت لربها تتوب عن ظلمها.

---

[1]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط. 01، 1416هـ/ 1996م، ج171/1.

[2]- علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ص 269-270.

أضرب الخبر:

عند إلقاء الخبر إلى السامع يجب مراعاة مدى تقبل السامع لهذا الخبر، إذ قد يكون السامع جاهلا للخبر الذي تلقيه إليه وتفيده به، أو يكون شاكا فيه، إذ لديه جانب مما تقول، أو يكون يملك الخبر ومكذب له، وهنا يجعل علماء البلاغة واللغة أضربا تحدد درجة تقبل السامع للخبر. وهذه الأضرب ثلاثة:

1- الضرب الابتدائي:

عندما يكون السامع جاهلا بالخبر، ولا معلومة لديه ولا فكرة عما يقول السامع، فإن الواجب هنا أن يطرح المخاطب خبره دون تأكيد للسامع لا فادته بالمعلومة، وفي هذه الحالة يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد، لأن السامع خالي الذهن من المعلومة.[1]

يقول حسن عباس فضل:« إذا كان الذي تخاطبه خالي الذهن، لا تعرف منه إنكارا، ولا تجد في نفسه شكا أو ترددا فيما تلقيه إليه، فينبغي أن تلقي إليه خبرا خاليا من التأكيد».[2]

كقولك نجح عبد الرحمن، فمن أخبرته بنجاح عبد الرحمن ولا يملك المعلومة أي ذهنه خاليا من الخبر، فلا تحتاج إلى مؤكد أو مؤكدات.

ويحسن في ابتداء الإخبار بالخبر إيراده غير مقترن بأية مؤكدات[3]، إذن فالأصل فالضرب الابتدائي خلوه من المؤكدات.

2- الضرب الطلبي:

يستعمل هذا الضرب الخبري لمن ترى منه شكا أو ترددا في قبول الحبر، كأن لكن له علم لعكس ما نقول، أو له خبر غير الذي تقول، وهنا لا تستفي الجملة عن مؤكدات الخبر لأن السامع بين بين، فتنقده المؤكدات من الحيرة والشك[4] يستوجب في هذه الحالة تأكيد الخبر

---

[1]- علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ص 276.

[2]- البلاغة فنونها وأفنانها، ج113/1.

[3]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج178/1.

[4]- مفتاح العلوم في البلاغة، السّكاكي، ص 170.

بمؤكد واحد فقط ليصل السامع إلى اليقين أو التأكيد المطلوب[1]، مثال ذلك قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» (النحل 90)

ليقول فضل حسن عباس: أما إذا كنت تدرك من الذي تخاطبه شكا، فيحسن أن تؤكد له الخبر، لتزيل ما في نفسه من الشك.[2]

ويرى الدكتور عبد الرحمان حسن الميداني أنه حين يكون لدى المخاطب شك في الخبر، أو عوامل شك أو إحجام عن قبول الخبر، فإنه حالة يكون حال طالب يسأل عن صحة الخبر، فيحسن أن يؤتى له بالجملة الخبرية مقترنة بما يؤكد صحة الخبر ومضمونه، ويؤتى فيها بمقدار من المؤكدات يلائم لنسبة التشكيك لديه وعوامل الإحجام عن قبوله الخبر[3] وكما قلنا مؤكدا واحدا لا يزيد فإن زاد دخلنا في الإنكار. كقولنا إن النتائج الامتحان ظهرت لمن شكك في ظهورها.

3 – الضرب الإنكاري:

ولا يستعمل هذا الضرب إلا حين يصل المخاطب حالة الإنكار ورفض قبول الخبر، فيكون من بلاغة الكلام وجوب اقترانه بالمؤكدات التي تلائم حالة الإنكار والرفض.[4]

هنا وجب تأكيد الخبر بأكثر من مؤكد، أي استعمال مؤكدين فأكثر. يقول السكاكي: وإذا ألقاها– يقصد الجملة أو المعلومة– إلى حاكم فيها بخلافه– استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده.

كنحو: صادق إني، لمن ينكر صدقك إنكارا، وإني لصادق.

---

[1]– علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ص 276.

[2]– البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ج113/1.

[3]– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج179/1.

[4]– نفسه، ج179/1.

لمن بالغ في إنكار صدقك، والله إني لصادق.[1]

لاحظ قوله تعالى:« إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ » (يس 14)

فلما كان التكذيب و الإنكار قال « إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ» (يس 14) فزاد لام الخبر للتأكيد.

ويسمى إخراج الكلام في هذه الأحوال (الأضرب) على الوجوه المذكورة والمختلفة بإخراج مقتضى الحال، أي لكل مقام مقال، ويسمى في البيان بالتصحيح، أجاب أبو العباس الكندي سائلا يسأله قال: يا أبا العباس أنكم– العرب لتطيلون الكلام– وإني أجد في كلام العرب حشوا، يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله لقائم، فأجابه أن في هذه الوجوه اختلاف في المعنى، فقولهم: عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم.

جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله لقائم، جواب من أنكر قيام عبد الله.[2]

إذن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر حسب إنكار السامع قوة وضعفا.[3]

أدوات تأكيد الخبر للسامع:

ثمة أدوات كثيرة لتأكيد الخبر وتقويته للسامع نذكر أشهرها:

إنّ– أنّ– نونا التوكيد (الثقيلة والخفيفة) نحو: قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا » (الكهف107)، ونحو: قوله تعالى:« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ» (الأنعام 153)، ونحو قول الشاعر:

لأسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أوْ أدْرِكَ المُنَى
فَما انقادَتِ الآمالُ إلا لِصابِرِ

---

[1]– مفتاح العلوم في البلاغة، السكاكي، ص 171.

[2]– نفسه، ص 171.

[3]– علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ص 277.

ونحو قوله تعالى:« وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ» (يوسف 32)

– لام الابتداء، قد، السين، سوف:

نحو قوله صلى الله عليه وسلم:« لله أكثر فرحا لتوبة عبده المؤمن».[1]

ونحو قوله:« قد أفلح من تزكى» (الأعلى: 14)

ونحو قول أبي فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدّ جدّهُمْ

وفي الليلةِ الظلماءِ يفتقدُ البدرُ

ونحو قوله تعالى: « ولسوف يعطيك ربك فترضى» (الضحي: 05)

أما– إما الشرطية، ألا وأما (حرفا التشبيه). إنما (اللفظ) – نحو قوله تعالى:« إما يبلغن عندك الكبر» (سورة الإسراء 23)

ونحو قول عمرو بن كلثوم:

ألا لاَ يجهلنَّ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلين

ونحو قول الشاعر:

أمَا واللهِ لو عَرفَ الأنامُ

لِمَا خُلقوا لَمَا هجعوا وناموا

ونحو قوله تعالى:" إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر 28)

ونحو قوله تعالى: " أما الزبد فيذهب جُفاء" (الرعد 17)

[1]– رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، رقم 4، رقم الحديث 5950.

أن – أن – (الزائدتان) من (الاستغراقية) والباء (الزائدة)

نحو: إن – الواقعة بعد النفي نحو قول الشاعر عمرو بن مُعد يكرُب:

ما أن جَزِعتُ ولا هَلِعتُ

ولا يرد بكاي زنْدا

وأن– الواقعة بعدما الظرفية نحو قوله تعالى: " فلما جاه البشير ألقاه على وجهه" يوسف 96

من – نحو قولك: ما نجح من أحد، أو ما حضر من أحد

الباء: نحو قول الشاعر:

ليس الجمالُ بمئزرٍ

فاعلم وإن رُديتَ بُرُدا

– ضمائر الفصل (هو، هي، هم، هما) شرطها ألا يكون لها محل من الإعراب. نحو قوله تعالى: " إن كان هذا هو الحق من عندك " (سورة الأنفال07) "ونحو قوله تعالى: فلما توفيتني كنت أنت الرقيب " المائدة 05

القَسَمُ: نحو قوله تعالى: " ثالثة لأكيدن أصنامكم " (الأنبياء57)

– التكرار نحو: الصلاة الصلاة فإنها عماد الدين

– لن[1] (النافية) نحو قوله تعالى: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" (آل عمران92)

– تكرار النفي نحو قول جميل بن معمر:

لا لا أبوحُ بحِب بثينةَ إنها

أخذتْ علي مواثقا وعُهودا

[1]– قال علماء اللغة "لن" لا تفيد توكيد النفي، إلّا الزمخشري قال تفيده، لأن فيها "لا" زائدة على لفظ النفي، والزيادة في لسان العرب إنما تكون للتوكيد وأصلها "لان"، أنظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج93/1.

لكن – وتفيد التوكيد إذا أفادت الاستدراك فقط وذلك في رأي ابن عصفور[1] نحو قول الشاعر:

لكن قومِي وإن كانوا ذوي عددٍ

ليسوا من الشَّر في شيء وإن هَانوا

أغراض الخبر:

الغرض هو الفائدة التي يخرج إليها الخبر، أي لماذا قيل الخبر، ما الفائدة من قوله؟ وأغراض الخبر عديدة بتعدد الجملة الخبرية و ما تحمله من إخبار، وأهم هذه الأعراض:

1 – الاسترحام والاستعطاف:

يستخدم هذا الغرض عندما يكون المتكلم يريد أن يظهر ضعفه واسترحامه واستعطافه، ليتعاطف معه السامع – نحو قوله تعالى: " فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير" القصص 24.

ونحو قول أبي نواس:

إنْ كان لا يرجوك إلا محسنٌ

فبمن يلوذُ ويستجير المُجرم

ونحو قول الشاعر:

إن جلَّ ذنبي عن الغفران لي أملٌ

في الله يجعلني في خير معتصمِ

[1]– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج193/1.

2 – النصح والإرشاد:

وهو غرض شهير يستعمل بكثرة في الجملة الخبرية، ويكثر في أشعار الحكمة، وكل كلام يهدي للخير والصلاح.

نحو قول الشافعي:

ولا خير في ود أمرئ متلون

إذا الريح مالت مال حيث تميل

ونحو قول طرفة بن العبد:

إذا كنتَ في حاجة مُرسِلا

فأرسل حكيما ولا تُوصِه

وإنْ ناصحٌ منك يوما دنَا

فلا تنأَ عنه ولا تُقْصــه

3 – إظهار الضعف:

ويستعمل حين يرعى القائل إلى إبراز ضعفه للسامع نحو قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا: "إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا" (مريم04)

ونحو قول إيليا أبو ماضي:

نفسي تحس كأنما أثقالها

قد خيرت فتخيرت أعضائي

وقول أبي العتاهية:

لم تبق مني إلا القليل وما

أحسبها تترك الذي بقيا

4 – الفخر:

هو أن يظهر المتكلم فخره واعتزازه بشيء يستدعي الفخر، نحو قول عمرو بن كلثوم:

ونشرب – إن وردنا الماء – صفوا

ويشرب غيرنا كدرا وطينا

ونحو قول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

وأسمعت كلماتي من به صمم

5 – إظهار الفرح والسرور:

نحو قوله تعالى:« وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقًا » (سورة الإسراء: 81)

ونحو قول من نجح في الامتحان: نجحت في الامتحان بتفوق.

6 – إظهار الحزن والأسى:

نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

يؤرقني التذكر حين أمسي

فأصبح قد بليت بفرط نكسي

ولولا كثرة الباكين حولي

على إخوانهم لقتلت نفسي

7 – المدح: وهو إظهار الثناء وذكر المحاسن نحو قول المتنبي مادحا سيف الدولة الحمداني:

إن ثوبك الذي المجد فيه

لضياء يزري بكل ضياء

ونحو قوله أيضا:

فإنك شمس والملوك كواكبا

إذا طلعت لم يبد منهن كوكبا

8 – التحسر والتأسف:

نحو قول الشاعر:

ذهب الذين يعاش في أكتافهم

وبقيت في خلف كجلد الأجرب

9 – اللوم والعتاب:

نحو قوله تعالى: « يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ» (الحديد: 14)

المحاضرة الرابعة:

الأسلوب الإنشائي أنواعه أضربه أغراضه:

الأسلوب الإنشائي:

تعريفه: كل كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، فلا تستطيع الحكم عليه أنه صادق أو كاذب خلاف الأسلوب الخبري وهو نوعان:

1 – الأسلوب الإنشائي الطلبي: هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب ويضم: (الأمر، النهي، النداء، الاستفهام، التحذير، الإغراء، التمني، الترجي، الدعاء).[1]

[1]– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج228/1.

أ – الأمر: وفيه يطلب المتكلم من السامع طلبا ليلبيه ويقوم به أو يلتزم به، أو هو طلب تحقيق شيء مادي أو معنوي، ويكون بفعل الأمر، أو لام الأمر التي تدخل على المضارع، أو اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر.[1] نحو: بفعل الأمر نحو الخطيئة للزبرقان بن بدر:

دع المكارع لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ونحو قول الأعشى:

ودِّعْ هريرة إن الرَّكب مرتحلُ

وهل تطيقُ وداعًا أيُّها الرَّجلُ

– بلام الأمر نحو: قوله تعالى: « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» (آل عمران104).

– يصدر نائب عن فعل الأمر: نحو «قول النبي صلي الله عليه وسلم: صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة».[2]

– بصيغة اسم فعل الأمر: نحو قوله تعالى: « فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدا» (الطارق17)

ونحو قول الشاعر ابن الرعاد:

هي الدنيا تقول بملئِ فِيها

حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

– **فائدة:** قد يخرج الأمر من صيغة المذكورة إلى صيغ أخرى هي:

---

[1]– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج228/1.

[2]– أخرجه الحاكم في المستدرك (رقم الحديث 6534).

– **الدعاء:** وهو طلب من الأدنى إلى الأعلى منزلة كأن يطلب العبد من ربه، أو الطالب من شيخه، أو الولد من أبيه نحو: « رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات» (نوح: 28)

– **الالتماس:** وهو طلب يتساوى فيه الطالب والمطلوب[1]، كأن يطلب الأستاذ من الأستاذ، أو التلميذ من التلميذ نحو قول الأستاذ لزميله: احضر معنا الاجتماع.

– **التعجيز**: وهو أن يطلب الأعلى من الأدنى أمر لا يقدر عليه نحو قوله تعالى: «فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ » (البقرة: 258)

– **النصح والإرشاد:** نحو قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ » (البقرة: 282).

ب – النهي: وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستملاء وله صيغة واحدة هي: "لا" مع المضارع.[2]

نحو قوله تعالى:« وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ» (الحشر: 19)

ونحو قول الشاعر:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثلَه

عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

فائدة: النهي أيضا يخرج إلى صيغ غير صيغته المعروفة ولكن باستعمال لا الناهية دائما من هذه الصيغ:

[1]– علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، ص 284.

[2]– البلاغة فنونها وأفنانها، ج154/1.

– **الدعاء:** إذا كان الطالب أعلى من المطلوب: نحو قوله تعالى: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» (البقرة 286)

– **الالتماس:** إذا كان الطالب أقل منزلة من المطلوب نحو قوله تعالى: « قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي » (سورة طه: 94)

– **النصح والإرشاد:** نحو قول الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه

فخير من إجابته السكوت

ج – التمني: وهو طلب حصول شيء محبوب دون أن يكون لك طمع وترقب في حصوله، ذلك لأن الشيء الذي تحبه، إن كان قريب الحصول مترقب الوقوع كان ترجيا لا تمنيا[1] وأنا أرى أن التمني قد يكون شيء ممتكن الحصول، كأن تقول: ليت لي بيتا أو ليت لي ولدا، فقد يتحقق ما تطلب ولا يكون هذا مستحيلا.

أدوات تفيد التمني: الأداة المشهورة في التمني هي " ليت " وهناك من يجعل من أدوات التمني " لو " و " لولا " و " لوما "[2] ولكنني أرى أن هذه الأدوات تفيد الأسلوب الخبري أكثر من الإنشائي، ولكن لا بأس من ذكر ذلك.

أمثلة عن التمني: نحو قول جميل بن معمر الإيادي:

ألا ليت ريعان الشباب جديد

ودهر تولى يا بثين يعود

[1]– البلاغة فنونها وأفنانها، صلاح فضل عباس، ج156/1.

[2]– نفسه، ج158/1.

شواهد عن لو – لولا – لوما:

– لو: نحو قوله تعالى: « فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » (الشعراء 102)

–لولا: نحو قولك: لولا الظروف لكنت من الناجحين

–لوما: نحو: لوما التحدي والصمود لمنت من الخائبين.

د– الترجي: وهو طلب شيء ممكن الحصول وأشهر أدواته لعل نحو قول الشاعر:

لعل عتبك محمود عواقبه

وربما ضحت الأجسام بالعلل

ونحو قول الشاعر:

عل الليالي التي أضنت بفرقتنا

جسمي ستجمعني يوما وتجمعه[1]

ويكون الترجي أيضا بعسى نحو قوله تعالى: « عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا » (القلم 32)

هناك من الدارسين من يجعل الترجي من الإنشاء غير الطلبي بصيغتيه (لعل، عسى).[2]

هـ– الاستفهام: هو طلب الفهم، واستخبارك عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به، وأدواته إحدى عشرة أداة: (أ – هل (وهما حرفان) ومن، ما، متى، أين، أيان، أنى، كيف، كم، أي، (وهي أسماء).[3]

---

[1]– البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، د. ت، ص 170.

[2]– البلاغة المُيَسَرة، عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن الحزم، ط. 02، 1432هـ / 2011، بيروت – لبنان، ص 43.

[3]– البلاغة فنونها وأفنانها، صلاح فضل عباس، ج168/1.

شواهد عن الاستفهام:

أ – نحو قول قيس بن الملوح:

أسرب القطا هل من معير جناحه

لعلي إلى من قد هويت أطر

– هل: نحو قوله تعالى: « وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ » (المائدة 91).

أمثلة عن أسماء الاستفهام:

- من: وتستعمل للعاقل، أي يستفهم بها عن العاقل أي عن الإنسان نحو قوله تعالى:« فمن ربكما يا موسى» (طه 49).
- ما: وتستعمل لغير العاقل أي لغير الإنسان نحو قوله تعالى:« القارعة ما القارعة» (القارعة 02).
- كم: ويستفهم بها عن العدد في الغالب نحو قول الفرزدق:

كم عمة لك يا جرير وخالة

فدعاء قد حلبت عليّ عشاري

ونحو قوله تعالى:« قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم» (البقرة 259)

- أنى: وتفيد من أين في الاستعمال نحو قوله تعالى:«قال يا مريم أنى لك هذا» (آل عمران: 37).
- أيان: وتستعمل للاستفهام عن الزمان نحو قوله تعالى:« يسئلون أيان يوم الدين» (الذاريات: 12).
- أين: ويستفهم بها عن المكان نحو قول الشاعر:

أين الذي أقسمت حين تركته

أن لن أزور بلهفتي ذكراه

- متى: ويستفهم بها عن الزمان نحو قوله تعالى:« ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» (الملك 25).
- كيف: ويستفهم بها عن الحال أو الحالة نح قوله تعالى:« كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم» (البقرة 280).
- أيّ: ويستفهم بها عن الوصف المميّز[1] نحو قوله تعالى:« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا» (مريم 73)

و- النداء: وهو طلب حضور المخاطب أو لفت انتباهه لأمر ما، أو هو طلب إقبال المخاطب أو دعوته بحرف نائب مناب الفعل "أدعو" أو "نادي"[2] وحروفه ثمانية سنذكرها مع التمثيل لكل حرف:

- يا: وهي أشهر حروف النداء استعمالا وينادى بها للبعيد في الغالب، وتستعمل للقريب أيضا. يقول الزمخشري:« هي لنداء البعيد، أو من منزلته من نائم أو ساه، وإذا نودي بها من عداهم فلحرص المنادى عليه، ومفاطنته لما يدعوه».[3]

نحو قول الشافعي:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع

أنت العد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلّـــــــــها

يا من إليه المشكى والمفزع

---

[1]- المصباح في المعاني والبيان البديع، بدر الدين بن مالك، تحق: حسني عبد الجليل يوسف، ط. 01، 1409هـ / 1989م، ص 85.

[2]- البلاغة فنونها وأفنانها، صلاح فضل عباس، ج162/1.

[3]- نفسه، ج163/1-164.

- هيا: أفادت نداء القريب، لأن فيها مناجاة الله تعالى وهو قريب من عبده مجيب لقوله تعالى:« وإن سألك عبادي عني فإني قريب مجيب دعوة الدّاعي إذا دعاني» (البقرة 186).

ونحو قول الشاعر:

يا موته لو أقلت عثرته

يا يومه لو تركته لغد

هنا أفادت نداء البعيد

- أ: وينادى بها القريب أو المحبّب نحو قول الشاعر:

أبنيّ إنني قد كبرت ورابني

بصري وفيّ لمصلح مستمتع

- أيا: وينادى بها للبعيد نحو قول الشاعر:

أَيا جَبَلي نُعمانَ بِاللهِ خَلِّيا

نَسيمَ الصَبا يَخلُص إلَيَّ نَسيمُها

- وا: وتستعمل للندبة أي للتفجع عن أمر عزيز، نحو قول أبي علاء المعري:

فواعجبا كم يدعي الفضل ناقص

وواأسفا كم يظهر النقص فاضل

- أيّ: وتزاد لها الهاء التي تفيد التشبيه نحو قوله تعالى:« يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » (المائدة: 101).

ونحو قول الشاعر:

يا أيها السادر والمزور من صلف

مهلا فإنك بالأيام منخدع

وهناك (آ) و (آي) وهي قليلة في الاستعمال[1] وقد تحذف الأداة ويبقى النداء قائما كقوله تعالى:« يوسف أعرض عن هذا» (يوسف 29)، والمعنى:" يا يوسف أعرض عن هذا".

2- الإنشاء غير الطلبي:

هو ما لا يستدعي مطلوبا للحضور، أو أمرا حاصلا عن الطلب، ويضم (التعجب، والمدح، والذم، والدعاء، وصيغ العقود، والقسم، وبعض أفعال المقاربة وهي: (كاد) و«(كرب)، ولأفعال الرجاء (عسى، حرى، واخلولق).

إن البحث في الإنشاء غير الطلبي مضنيّ ومتعب لقلة التأليف فيه، وعدم اكتراث البلاغيين بهذا المبحث، فتراهم يمرون عليه مرورا سريعا لا يكاد الباحث منا أن ينال مراده، ورغم ذلك إلّا أننا أردنا أن نقدم للطالب شيئا من الإنشاء غير الطلبي يستأنس به، يتمثل في سرد ما يتضمنه الإنشاء الطلبي ونذكر من ذلك:

أ- **التعجب:** هو استعظام أمر ظاهرة المزيّة، خافي السبب، أو هو شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمرا نادرا أو لا مثيل له مجهول الحقيقة أو خفي السبب[2]، وللتعجب أساليب كثيرة منها:

- **الصيغتان القياسيتان (ما أفعله، أفعل به):** نحو قوله تعالى:« فما أبصرهم على النار» (البقرة 175).

ونحو قول الشاعر:

فما أكثر الإخوان حين تعدهم

---

[1]- البلاغة فنونها وأفنانها، صلاح فضل عباس، ج164/1.

[2]- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط. 15، 2008م، مصر، ج339/3.

ولكنهم في النائبات قليل

وصيغة (أفعل به) نحو قوله تعالى:« أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا» (مريم 38)، ونحو قول الشاعر حسان بن ثابت:

أكرِم بقوم رسولُ الله قائدهم

إذا تفرقت الأهواء والشيع

- **صيغة (لله درّه)**: نحو قولك: لله درّه طالبا مجتهدا.

وللتعجب صيغ سماعية كثيرة تستفاد وتفهم من الفعل أو المصدر نحو الفعل عجب وما يشتق منه. لاحظ قوله تعالى:« فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم» (التوبة 55)، ومن المصدر قوله تعالى:« أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا الشيء عجيب» (هود 72)، ونحو قوله تعالى:« وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» (الرعد 05) ونحو قول الشاعر ابن الرومي:

عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له

ولو أنه أقصى من الحجر الصلد

ب- المدح والذم: للمدح والذم صيغ شهيرة قياسية وسماعية، وأشهر هذه الصيغ القياسية (نعم/بئس) متضادتان في المعنى، و (حبذا/ ولا حبذا) وهما أيضا متضادتان في المعنى.

- نعم/بئس: هاتان الكلمتان تستعملان للمدح والذم وما حوّل إلى معناهما من الأفعال ولهما استعمالان:

- تستعملان كفعلين متصرفين كسائر الأفعال؛ أي لهما المضارع والأمر واسم الفاعل.[1]

[1]- معاني النحو، فاضل صالح السمرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط. 01، 1420هـ / 2000م، الأردن، ج669/4.

نحو قوله تعالى:« واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير» (الحج 78)، ونحو قوله تعالى:« أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (آل عمران 162).

– وتستعملان اسم فاعل نحو قوله تعالى:« وجوه يومئذ ناعمة» (الغاشية 08)، ونحو قوله تعالى:« واطعموا البائس الفقير» (الحج 28).

• حبذا، ولا حبذا: وتتكوننان من الفعل حبّ + الفاعل ذا، وينفي الصيغة بـ لا لتفيد الذم "لا حبذا"، إذن تستعمل "حبذا" للمدح نحو قول الشاعر:

ألا حبذا أهل الملا غير أنه

إذا ذكرت مي فلا حبذا هيا

ونحو قول الشاعر:

يا حبذا حبل الريان من حبل

وحبذا ساكن الريّان من كانا

وحبذا نفحات من يمانية

تأتيك من قبل الريّان أحيانا

وقد تكون الصيغة بالأفعال المحوّلة إلى "فعل" نحو قوله تعالى:« كبرت كلمة تخرج من أفواههم» (الكهف 05).[1]

ج– الدعاء: ويدرجه البلاغيون من الإنشاء الطلبي وهو الأرجح عندنا، لأن فيه طلبا أو تمنيا لتقبل بعد بذل، ولم نجد الدعاء ضمن الأساليب الإنشائية غير الطلبية إلى في كتاب: البلاغة فنونها وأفنانها لفضل حسن عباس.[2]

---

[1]– البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، ص 122.

[2]– البلاغة فنونها وأفنانها، صلاح فضل عباس، ج147/1.

د- صيغ العقود: يظن الدارس منا أن الباحث في هذه الصيغ أنها صيغ خبرية لأن قولك: بعتك كذا وكذا قد تتحمل الصدق أو الكذب، ولكن الماضي منها و –من صيغ العقود– نحو: بعت، اشتريت، ابتعت، اقتنيت، شريت، ووهبت، وأعتقت تفيد الإنشاء وبغير الماضي تكون قليلة نحو: أنا بائع.[1]

يقول أحمد مطلوب:« وصيغ العقود مثل "بعت" و "اشتريت" و "وهبت" و "قبلت" وهذه أساليبٌ خبرية، لكنها لا يراد بها الإخبار لأنها لا تحتمل الصدق أو الكذب، ولذلك لم توضع مع الخبر».[2]

من أمثلة صيغ العقود: بعتك الكتاب، ووهبتك الأرض، كما قلنا تكون بصيغة الماضي على العموم نحو: بعت واشتريت ووهبت، وترد قليلا بغيره نحو: أنا بائع وعبدي حرٌ.

وق عدّ كثيرٌ من البلاغيين الإنشاء غير الطلبي خارجا عن مباحث علم المعاني لأن أكثر صيغة في الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.[3]

هـ- القسم: ويعني الحلف واليمين، وهو وسيلة من وسائل توكيد الخبر لدى السامع، وأدواته: الباء، الواو، التاء، اللام، الميم المكسورة، من.[4]

ويكون بألفاظ أخرى نحو: بحياتي، وبصيغ سماعية غيرها كـ: لعمرك، في ذمتي، لئن...[5] نحو قوله تعالى:« تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ» (يوسف 85). ونحو قوله تعالى:« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجنّ» (النور 55). ونحو قوله تعالى:« والشمس وضحاها» (الشمس 01).

---

[1]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص 69.

[2]- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د.حسن البصير، وزارة التعليم العراقية، ط. 02، 1999، العراق، ص 123.

[3]- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 311.

[4]- أساليب بلاغية، الفصاحة، البلاغة المعاني، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، ط. 01، الكويت، 1980، ص 108.

[5]- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 310.

ومن الصيغ القياسية قوله تعالى:« لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون» (الحجر 72)، ونحو قول الشاعر:

لعمرك ما الرزية فقد مال

ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شهم

يموت بموته خلق كثير

وقد يخفى حرف القسم ويذكر ما يدل عليه، ومن أشهر ما يدل على القسم لئن الموطئة للقسم، ولام التوكيد. نحو قول الشاعر:

لأستسهلنّ الصعب وأدرك المنى

فما انقادت الأمال إلّا لصابر

وأصل هذه الجملة: والله لأستسهلنّ الصع، ونحو قول النبي- صلى الله عليه وسلم- :« لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤدي المسلمين»[1]، وأصل الكلام: والله لقد رأيت. فحذف القسم ودلت عليه لقد.

و- أفعال المقاربة (كاد، كرب): وهناك من يعتبرها من الخبر المحض ونرى بذبك أيضا/ إلّا أننا من باب الإيضاح والإضافة ذكرناهما.

ومن استعمال كاد نذكر قول أمير الشعراء شوقي:

قم للمعلم وفّه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

وأما الرجاء فيكون بـ: بعسى وحرى واخلولق[2]، نحو قول الشاعر:

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه

---

[1]- أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، (ج588/2)، رقم الحديث (857.

[2]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص 70.

يكون وراءه فرج قريب

وقد ذكرنا الشاهد المتضمن عسى، لأنها الأكثر شيوعا يقول محمد أحمد قاسم:« الرجاء أفعاله عسى، حرى، اخلولق، وعسى أكثرها شيوعا».[1]

أغراض الجملة الإنشائية (الطلبية وغير الطلبية):

- **الالتماس:** وهو طلب بلين ورفق لأن الذي يطلب أقل من المانح.

- **النصح والإرشاد:** وهو الغرض الذي يكثر في الأساليب الإنشائية وحتى الخبرية، نحو قوله تعالى:« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» (الأعراف 199).

- **التخيير:** حين تخيّر السامع بين أمرين متباينين نحو قول الشاعر:

عش عزيزا أو مت وأنت كريم

بين طعن القنا وخفق النبود

- **التهديد والوعيد:** ويكون هنا المخاطِب أقوى وأعز من المخاطَب، نحو قوله تعالى:« اعملوا بما شئتم إنه بما تعملون بصير» (فصلت 40).

- **التحقير والتقليل:** ويستعمل هذا الغرض لإهانة المخاطب نحو قول جرير:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا

أبشر بطول سلامة يا مربع

- **التعجيز:** ويستعمل حين يطلب من المخاطب القيام بأمر مستحيل على وجه التعجيز نحو قوله تعالى:« فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر» (البقرة 258).

- **التوبيخ:** ويستعمل حين تريد لوم المخاطب بشدة لتقصير منه نحو قول أبي الأسود الدؤلي:

لا تنهي عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

- **التحسر:** ويكون على أحد عزيز فات نحو قول جرير:

[1]- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 311.

ولى الشباب حميدة أيامه

لو كان ذلك يشترى أو يرجع

- **لفت الانتباه:** حين ترى غفلة من المخاطب وتريد أن توقظه نحو قول البارودي:

يا أيها السادر المزور من صلف

مهلا فإنك بالأيام تنخدع

المحاضرة الخامسة:

التقديم والتأخير / الفصل والوصل

❖ **التقديم والتأخير:**

الجملة العربية تخضع لترتيب فصله علماء اللغة في مباحث سموها ببناء الجملة، أو ترتيب الجملة، أو مكونات الجملة، وقد يختل هذا الترتيب لغاية يريدها المتكلم يقول عبد الرحمن بن حبنكة الميداني:« لكل عنصر من عناصر الجملة في اللسان العربي موقع في بناء ترتيب الجملة»[1]

يذكر الجرجاني أن الجملة العربية لها نسقها الخاص وخصائصها الخاصة وترتيبها الخاص، وقد يطرأ على ترتيبها شيء من التقديم أو التأخير حسب حاجة المتكلم، ويبين أن التقديم يشمل أمرين:

1-تقديم على نية التأخير.

2-تقديم ليس على نية التأخير.

وكذلك الحال في التأخير، ولكن التقديم هو المهم لما في التقديم من مزايا وفوائد نذكرها تباعا.

وهذا التقديم نجده في النحو والبلاغة، ففي النحو نركز على المسند والمسند إليه الذين سنشرحهما بشيء من التفصيل، أما التقديم والتأخير في البلاغة فنركز على المعنى المستفاد

[1]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج350/1.

من هذا التقديم أو التأخير، ويعد الجرجاني عبد القاهر من أكثر علماء البلاغة تأصيلا في هذا الباب (التقديم والتأخير) منطلقا فيه من النظم أي تأليف الكلام وترتيبه، حتى أنه ألف نظرية متكاملة في هذا الشأن هي نظرية؛ النظم، والتي من أركانها التقديم والتأخير، ولعل من أبرز أشباب تناوله لهذا المبحث (التقديم والتأخير) هو عدم اتفاقه مع المعتزلة، إذ ردّ ردّا قويا على من ادعى أن المعاني لا تتزيد، وإنما تتزايد الألفاظ وبيان أن في التقديم عناية واهتماما، وأن القول بتقسيم الكلام – في حال التقديم والتأخير – أن هذا التقديم مفيد أو غير مفيد، أو التقديم لمزية أو لغير مزية تقسيم خاطئ لا أساس له، وأن من قال بذلك جاهل للعربية.

يقول الجرجاني في التقديم والتأخير:« هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، يعيد الغاية، لا يزال يغترّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد السبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيئا، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان».[1]

لا شك أن الجرجاني يثني على فائدة تقديم اللفظ على اللفظ فيجعل لذلك فوائد جمة وغايات شريفة، وربما لو تتبعت رأيه في بداية خوضه لعلم البلاغة تجده لا يعنى كثيرا لمسألة التقديم والتأخير، ظنا منه –ربما– أن العربية كلغته الفارسية لا تعنى كثيرا بالتقديم والتأخير، إذ لا يعتبر المعنى كثيرا في الفارسية حين تقدم أو تؤخر، وتفصيلا لما تفضلنا به أن التقديم يكون على نيّة أحد الأمرين:

– التقديم على نيّة التأخير – لبتقديم لا على نيّة التأخير.

نفصل ذلك:

ير صاحب هذا الفن (فن التقديم والتأخير) أن التقديم على نيّة التأخير يكون في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمة الذي كان عليه في الأصل، كتقديم الخبر على المبتدأ،

[1]– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت، ص 106.

والمفعول إذا قدمته على الفاعل، كقولك: (منطلق زيد)، وكقولك: (ضرب عمرا زيد)، فتقدم في المثالين "منطلق" و "عمرا".[1]

وكقولك: أمسافر غذا؟ فإن قدمت السفر على غدٍ فقد اعتنيت بالسفر على الوقت (غذا)، وفي ذلك بيان ومعنى، فإن السائل اهتم بالسفر ولم يهتم بتوقيت السفر، وحاجته بالسفر، ولا اهتمام له بالوقت، وإن قلت: أغذا مسافر، فإن السائل اهتم بالتوقيت لا السفر، كان يريد أن يرسل مع المسافر شيئا. لذا يهمه التوقيت، وكأنه يريد أن يقول: أغذا مسافر أو بعد غذ لأرسل معك شيئا، أما في المثال الأول (أمسافر غذا) وكأنه قلق على المسافر، فيريد أن يقول: أمسافر غذا في هذا الجوّ مثلا، أو في هذه الظروف.

أما التقديم على نية التقديم، وهو نقل اللفظ من حكم إلى حكم، فتجعل له بابا غير ما كان عليه، وأن إعرابا غير إعرابه، وذلك كأن تجيء إلى السمين كل اسم منهما يصلح مبتدأ والآخر خبرا، فتقدم هذا تارة والآخر تارة أخرى. كأن تقول:" زيد منطلق"، أو "منطلق زيد".[2]

قد يعتقد غير المختص أن لا فائدة للتقديم والتأخير، وأن اللفظ إذا قدمته أو أجلته بقي المعنى نفسه، فقولك حضر زيد كقولك زيد حضر، ونجح محمد كقولك محمد نجح، ولكن هيهات في العربية أن يكون المعنى نفسه، ففي قولك: حضر زيد ركزت على الحضور أكثر من زيد، هنا يمكن أن يكون حضر نائب عن زيد أو من يمثله، أما إذا قلت زيد حضر، فإنك تؤكد على حضور زيد بشخصه دون إمكانية أن ينوب عنه أحدهم في الحضور. وإذا قلت نجح محمد فإن نجاح محمد كان عاديا ولم يكن غريبا، كأن يكون محمد مجتهدا مثلا، أما قولك: محمد نجح، فقد ركزت على محمد عينه، كأن يكون مستوى محمد محدودا وفاجأنا بنجاحه.

---

[1]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 106-107.

[2]- نفسه، ص 107.

وإذا أردت أن تعي خطر التقديم والتأخير، فاستمع إلى قوله تعالى:« إذ قال إبراهيم ربي يحيي ويميت قال أنا أحي وأميت» (البقرة 258)، فلم يقل الله تعالى:" يحيي ويميت ربي" والفرق بينهما كبير؛ في قوله تعالى:« ربي الذي يحيي ويميت» معناه: لا محيي ولا مميت إلّا الله، والقول: "يحيي ويميت ربي" أن الله يحيي ويميت وغيره يحيي ويميت أيضا.[1]

نجد لعبد الرحمان الميداني كلاما مفيدا في شأن التقديم والتأخير على النيتين (على نية التقديم ولا على نية التقديم) يقول فيه:« إذا أردنا أن نصوغ جملة نبين فيها طلوع القمر وعدمه، وجدنا أنفسنا أمام عدد من الاحتمالات: طلع القمر، ما طلع القمر، القمر طلع، القمر ما طلع، القمر طالع، ليس القمر طالعا، ما طالعٌ القمر، ويتساءل: هل هذه الصيغ تقع في درجة واحدة من البيان، أم هي مختلفة؟ يقول النحوي في هذه الأوجه أنها جائزة كلها ولكل صيغة وجه إعرابي، أمّا البلاغي فيقول: تختلف في التأكيد فلكل صيغة معنى، تختلف باختلاف السامع، وتغير الترتيب –تقديما أو تأخيرا– في أركان الجملة نجم عنه إضافة دلالة على البلاغي أن يلاحظها عند إنشاء الكلام، ولدى فهم النصوص البليغة الرفيعة»[2]، معنى كلامه أن اختلاف الترتيب تقديما أو تأخيرا ينتج عنه اختلاف في النحو وزيادة في المعنى تأكيدا أو إثباتا أو نفيا.

وما يراه النحوي في التقديم والتأخير ليس هو ما يراه البلاغي والأديب، إذ ينظر للدلالة أي المعنى المستفاد من هذا التقديم أو التأخير، على أن يكون حذرا في ترتيبه على ما أمكن.

وقولك:" أبنيت هذه الدار؟ تقدم الفعل فأفاد الشك في بنائها، مع أن الإشارة إليها تدل على أنها مبنية مشاهدة، وإنما وقع الشك في الباني".[3]

---

[1]– البلاغة فنونها وأفنانها، صلاح فضل عباس، ج145/1.

[2]– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج145/1.

[3]– أسرار التقديم والتأخير في لغة القران الكريم، ، د. محمد السيد شيخون، دار الهداية للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت، ص 13.

وهذا يتوافق تماما مع ما يراه الجرجاني حين يقول:« إذا قلت: أقلت هذا الشعر؟ يفيد أنك شاك في القول مع أنه لا شك فيه، وإنما الشك في القائل»[1]

وتفصيل ذلك أنه مما يدل على ثبوت الفرق بين التقديم والتأخير بين الاسم والفعل، فتقديم الفعل على الاسم بعد الهمزة الاستفهامية يصح عند أهل البلاغة، والعارفين بأساليبها وتقلباتها تقديما أو تأخيرا، ومن ذلك: أمسافر غذا، أو غذا مسافر. وشرط الجملة أن تفيد، فلا يمكنك بحال من الأحوال أن تقدم أو تأخر دون أن تحصل فائدة الكلام، يقول أحمد مطلوب:« الجملة كلمات تأتلف لتدل على معنى، أو هي –كما يقول النحاة– اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها».[2]

والحديث عن تام معنى الجملة يجرنا إلى الحديث عن أركان ومكونات الجملة وهما: المسند والمسند إليه.

وهنا نقول لا تكون الجملة تامة إلّا إذا استوفت مسندا ومسندا إليه، فإذا حذف أحدهما قدّر الكلام على وجودهما؛ أي أن أحدهما حذف لبلاغة ما.

نجد سيبويه في كتاب يشير إشارة واضحة وأكيدة على أنه لا استغناء عن المسند والمسند إليه في الجملة فهما ركناها ومكوناها، إذ نجده يصرح:« هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يستغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا، من ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك: "عبد الله أخوك"، و "هذا أخوك"، ومثل ذلك قولك:" يذهب زيد" فلابدّ للفعل من اسم كما لم يكن للاسم الأول بدٌ من الآخر في الابتداء، ومما يكوم بمنزلة الابتداء قولك:"

[1]– دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 76.

[2]– البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، ص 143.

كان عبد الله منطلقا" و"ليت زيد منطلق" لأن هذا لا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده».[1]

ويعني من كلامه أن لا استغناء للجملة العربية عن المسند والمسند إليه، ولا استغناء للمسند عن المسند إليه، فهما ركنا الجملة بهما يتم معناها وبدونهما المعنى مبتور، وإن حذف أحدهما قدّر في الجملة.

تعريف الجملة من منظور بلاغي وتحديد أركانها:

يعرفها معجم المصطلحات العربية بأن:« الجملة هي أقصر صورة من الكلام تدل على معنى مستقل بنفسه، وتكون عند الناطقة من موضوع ومحمول، فقولك: الشمس طالعة، الشمس موضوع، وطالعة محمول، ويسمي علماء البلاغة الموضوع مسندا والمحمول مسندا إليه».[2]

ولا نسمي الجملة جملة إلا إذا كانت تامة المعنى مفيدة عند السكوت، أو هي كلام تام تدل على معنى أقله نسبة شيء إلى شيء إثباتا أو نفيا، أو هي إنشاء ربط بين شيئين، والجملة المفيد تسمى عند علماء المنطق قضية، وأقل ما تتألف من الجملة عنصران يعبر عنهما باللفظ وهما: المسند إليه (المحكوم عليه) ويسمى (الموضوع)، والمسند (المحكوم به) ويسمى (المحمول)، ويلاحظ بين المسند إليه والمسند شيء ثابت يسمى: الإسناد؛ وهو الرابط المعنوي بينهما، وقد يوجد في اللفظ ما يدل عليه، كحركة الإعراب، وضمير الفصل بين المبتدأ والخبر.[3]

معنى هذا كله أن المسند لا غنى عنه لإتمام نقص المسند إليه وقصوره في أن يمنحك خبرا تاما أو معنى وافٍ، فكلاهما يكمل الآخر، ولكن ماذا يقصد بالمسند إليه والمسند والإسناد؟

---

[1]– الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط. 02، 1409هـ / 1988م، القاهرة، ج1، ص 07.

[2]– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة المهندس، كامل المهندس، مكتبة لبنان، 1984م، ص 77.

[3]– البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج140/1.

قبل تحديد هذه المفاهيم الخاصة بالمسند والمسند إليه يحسن بنا أن نعرج على أنواع الجملة العربية.

أنواع الجملة العربية:

1- الجملة النواة (الجملة الأصل): وهي الجملة الفعلية أو الاسمية التي تتألف من الأركان الأساسية فقط نحو: ينجحُ المُجِدُّ (فعلية)، المجد لا يجيب (اسمية)، فالفعلية هي التي تبدأ بفعل، والاسمية هي التي تبدأ باسم.

2- الجملة المبسطة: وهي الجملة التي تتكون أو تتألف من الأركان الأساسية وزيادة الفضلة تغنيها ولا تثريها نحو: ينجح المجد المجتهد الذي لا يكل ولا يمل، فـ "المجتهد الذي لا يكل ولا يمل" تعد فضلة يمكن الاستغناء عنها دون أن يضيع المعنى.

3- الجملة المركبة: وهي الجملة التي تتألف من مقاطع جملية كثيرة، يجمع أو يربط بينها بروابط نحو: المجد الذي يتعب ويسهر لا يخيب لأنه أراد ومن يريد يصل.

4- الجملة المقيدة: وهي الجملة التي تقيد بمفرد كالمفعول أو النعت أو المجرور أو المضاف إليه...[1]، نحو: الطالب المتفوق محبوب.

هنا يجدر بنا تحديد معنى المسند إليه والمسند والإسناد:

أ-المسند: وهو ركن أساس في الجملة، وهو الخبر أو ما يسد مسده في الجمل الاسمية، والفعل في الجمل الفعلية، أو ما يعمل عمله[2]، أو هو الخبر، والفعل التام، واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر، وأخبار النواسخ، والمصدر النائب عن الفعل.[3]

ويتعلب في أحوال هي:

الذكر والحذف والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير، فيذكر أو يحذف لأغراض بلاغية سنذكرها لاحقا، كما يعرّف أو ينكر ويقدم ويؤخر للشيء ذاته.

---

[1]- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 262-263.

[2]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج155/1.

[3]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص 131.

ب- المسند إليه: وهو المبتدأ في الجمل الاسمية، أو ما أصله مبتدأ، والفاعل أو ما ينوب عنه أو يعمل عمله (نائب الفاعل)[1]. أو هو المبتدأ الذي له خبر، والفاعل ونائبه وأسماء النواسخ[2]، ويتقلب في أحوال المسند نفسها بين (ذكر وحذف وتعريف وتنكير وتقديم وتأخير وغيرها).

ج- الإسناد: وهو الرابطة الذهنية التي تكون بين المسند والمسند إليه، أي تربط بينهما، وقد يدل على الرابطة بضمير الفصل وحركة الإعراب.[3]

أمثلة وشواهد توضيحية عن المسند والمسند إليه والإسناد والفضلة وأحوال المسند والمسند إليه:

- **لاحظ:** العلم نور

العلم: مسند إليه (مبتدأ)

نور: سند (خبر)

إذا أسندنا النور إلى العلم

إليه

- **لاحظ قولنا:** حضر الأستاذ

حضر: مسند (فعل)

الأستاذ: مسند إليه (فاعل)

إذا أسندنا الحضور إلى الأستاذ

إليه

جاء في علوم البلاغة أن المسند إنما يكون في ثمانية أمور هي:[4]

- خبر المبتدأ نحو: الله قادر، الجو بارد

مسند إليه مسند مبتدأ خبر

---

[1]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج155/1.

[2]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص 99.

[3]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، ج155/1.

[4]- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 264.

مبتدأ خبر مسند إليه مسند

- الفعل التام: عاد الجند، نجح زيد

فعل تام فاعل فعل تام فاعل

مسند مسند إليه مسند مسند إليه

- اسم الفعل: (ناضٍ، مضارع، أمر)، نحو:

هيهات الرجوع، دونك الكتاب

مسند مسند إليه اسم فعل مفعول به

اسم فعل ماض فاعل أمر مسند إليه

- المبتدأ الوصف المستغني لمرفوعه عن الخبر نحو:

أعارف أبوك قدر ما فعلت؟

مبتدأ فاعل فضلة

مسند لاسم الفعل

- أخبار النواسخ: (كان وأخواتها، إنّ وأخواتها، ظنّ وأخواتها، كاد وأخواتها) نحو:

إنّ العفو خلق رفيع

مسند إليه مسند فضلة

اسم إنّ خبر إنّ صفة

كان الجهل منتشرا قبل الإسلام

اسم كان خبر كان فضلة

مسند إليه مسند

- المفعول الثاني لـ: (ظنّ وأخواتها) نحو:

ظننت عمرا ناجحا

مسند+ مسند إليه مسند إليه مسند

فعل فاعل مفعول به مفعول به

(ظن) التاء أول ثانٍ

- المفعول الثالث لـ (الأفعال المتعدية لثلاثة مفاعيل أرى وأخواتها)، نحو:

خـــبّرتـك الصدق منجاة

مسند+ مسند إليه مسند إليه مسند

الكاف= فضلة مفعول به ثان ثالث

- المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم:

« صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»

مسند نائب عن فعل الأمر

- مواضع المسند إليه: ويحددها البلاغيون والنحويون في ستة مواقع هي:[1]

- المبتدأ الذي له خبر: نحو:

الصدق منجاة

مبتدأ خبر

مسند إليه مسند

- فاعل الفعل التام: نحو:

نجح المتفوق

فعل تام فاعل

مسند مسند إليه

- أسماء النواسخ: نحو:

ليس النجاح مستحيلا

مسند إليه مسند

اسم ليس خبر ليس

- المفعول الأول لظنّ وأخواتها: نحو:

علمت النجاح تحديا

مسند+مسند مسند إليه مسند

إليـــه مفعول به أول مفعول به ثان

- المفعول الثاني لـ: (أرى وأخواتها) نحو:

أريتك العلم نافعا

[1]- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 267.

مسند+مسند إليه مسند إليه

إليــه مفعول به ثان مفعول به ثالث

– نائب الفاعل لفعل ناقص: نحو:

صيّر الأمر على غير حقيقة

مسند مسند إليه

فعل ناقص نائب فاعل

يجدر بنا بعد هذه الإضافة في تحديد المسند والمسند إليه أن نتكلم عن تقديم وتأخير المسند والمسند إليه لدواع بلاغية:

❖ **تقديم المسند إليه:** معلوم أن المسند إليه يتصدر الترتيب في مواضعه الطبيعية كأن يكون مبتدأ أو اسما لناسخ، وما إلى ذلك، ويتأخر حين يكون فاعلا أو نائب فاعل. يقول أحمد الهاشمي في جواهره: « إعلم أن المسند إليه مرتبته التقديم، وذلك لأن مدلوله هو الذي يخطر أولا في الذهن لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعا، لهذا تقدم وضعا».[1]

يرى الأستاذ أحمد مصطفى المراغي أن للتقديم أربعة أحوال:

– ما يفيد زيادة في المعنى من تحسين اللفظ، وذلك هو الغاية القصوى والعمدة في القرآن، نحو قوله تعالى:« وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» (القيامة 22–23) فتقديم (إلى ربها) الجار والمجرور قد أفاد التخصيص، إذ لا يكون النظر لغير الله.

– ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو قوله تعالى:« بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ» (الزمر66)، تقديم المفعول به (الله) تخصيص لكون العبادة لا تكون لغير الله، ولو أخر الله لكان تشريك في العبادة لغير الله.[2]

– ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وهذا النوع غير محبب لأهل البلاغة، من ذلك قول الشاعر:

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت

بحمد إلهي وهي منه سليب

وأصل الكلام: ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد إلهي

– ما يختل به المعنى ويضطرب، ويتدرج ذلك ضمن **التعقيد** اللفظي.

---

[1]– جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص 123.

[2]– علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 362.

المحاضرة السادسة:

الحقيقة والمجاز، أنواع المجاز:

تعريف المجاز:

هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، ويجب أن تكون هناك قرينة تمنع المعنى الأصلي للفظ، أو هو كلمة لها معنى أصلي لكنها تستعمل في معنى آخر على أن يوجد علاقة بين المعنيين دون أن تكون علاقة مشابهة، وتعرف تلك العلاقة من المعنى الجديد المستخدمة فيه الكلمة.

الحقيقة: هي اللفظ لما وضع له في الأصل مثل: الأسد وضعت للحيوان المفترس، البحر وضعت للماء .....).

أنواع المجاز: المجاز نوعان:

1- مجاز لعقلي 2 - مجاز لغوي

المجاز اللغوي نوعان:

1-مجاز مرسل
2-استعارة

- الاستعارة نوعان:

1-تصريحية
2-مكنية

في المجاز وأنواعه المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصل، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون

المشابهة وقد تكون غيرها، فإذا كانت المشابهة فهو استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل والقرينة قد تكون لفظية، وقد تكون حالية، كما سيأتي.

وينقسم إلى أربعة أقسام: مجاز مفرد مرسل، ومجاز مفرد بالاستعارة ومجاز مركب مرسل، ومجاز مركب بالاستعارة، والعلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه سميت بذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول فينتقل الذهن من الأول للثاني، وباشتراط ملاحظة العلاقة يخرج الغلط؛ كقولك خذ هذا الكتاب مشيرة إلى فرس مثلا ([1]).

معناهما الاصطلاحي:

من المعنى اللغوي جاء المعنى الاصطلاحي لكل منهما، فالحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينه تمنع إيراد المعنى الحقيقي: ولا بد أن نقف مع هذا التعريف لنشرحه ونوضحه

من نافلة القول أن اللغة ضرورة ملحة تدعو إليها الحاجة ليتفاهم الناس فيما بينهم فالكلمات والالفاظ قوالب للمعاني التي يعبر عنها الناس، فهم يعبرون عما في نفوسهم بالكلمات، فالمعنى معبر عنه، واللفظ معبر به، ومن هنا كان لا بد لكل معنى من لفظ يدل عليه حتى لا يختلط الأمر، ومن أجل أن يكون لكل لفظ مدلوله الذي يدل عليه، وقد كانت هذه الألفاظ بادئ بدء تساير حاجات الناس معنى ذلك أنهم يحتاجون الألفاظ للأمور التي تدور بينهم، وتلح عليهم، ولا ريب أن أي قوم من الأقوام يتصفون بالبدائية في أول نشأتهم، ثم تبدأ مراحل التطور والنمو.

وإذا كان هذا شأن الأقوام والأمم فهو شأن اللغات التي يتحدث بها الأقوام كذلك، وبرهان هذا أنك لو اخذت كثيرة من كلمات اللغة العربية التي تدل اليوم على اشياء معنوية لوجدت أنها وضعت أول ما وضعت لأشياء محسوسة، ولكن مع تطور القوم اصبح لهذه الألفاظ مدلولات غير تلك التي وضعت لها أولا | كلمة (كتاب) مثلا، التي تعني اليوم وسيلة المعرفة والثقافة والعلم، حينما ننظر في المعنى الذي وضعت له أولا نجد أنها وضعت لما كانت تدعو إليه حاجة القوم في نشأتهم الأولى، فكلمة (كتب) معناها ضم الخيوط بعضها إلى بعض النسج

[1]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص: 251.

والخياطة، وهذا الذي يحتاج إليه القوم في نشأتهم الأولى ثم وضعت بعد ذلك الكتيبة من الجيش)، ثم وضعت بعد ذلك الضم الحروف بعضها إلى بعض وهكذا أكثر الكلمات العربية كما قلت لك من قبل، وهذه الكلمة على الرغم من تطور مدلولاتها، إلا أن العرب هم الذين وضعوها لكل معنى من هذه المعاني المختلفة.

والمعنى الوضع أن يصطلح القوم على أن يضعوا لكل معنى كلمة تدل عليه. وهذا الوضع هو الذي يسمى حقيقة، فأنت تدرك الآن ما قلناه في تعريفها، بأنها اللفظ الذي استعمل فيما وضع له، فاستعمال الكتاب في جمع الحروف بعضها إلى بعض حقيقة لغوية لأن العرب هم الذين وضعوا هذه الكلمة لتدل على هذا المعنى، واستعمال الأسد للحيوان المفترس حقيقة لغوية لأن العرب هم الذين وضعوا هذه الكلمة لهذا النوع الخاص من الحيوانات ودلالة كلمة البحر على القسم المائي من الأرض حقيقة لغوية، كذلك دلالة الشمس على هذا الجرم المضيء، ودلالة السحاب على هذا النوع من الغمام، ودلالة القمر على ذلك الكوكب المنير كل أولئك حقائق لغوية لأن العرب هم الذين وضعوا هذه الكلمات لتدل على هذه الأشياء كلها ([1])

ولعل المجاز سمي بالمجاز المرسل؛ لأنه غير مقيد بعلاقة واحدة، كما هو الحال في الاستعارة المقيدة بعلاقة المشابهة فقط، ولأن علاقاته كثيرة. وعلاقات المجاز المرسل كثيرة أهمها:

- **الجزئية:** عندما نعبر بالجزء ونريد الكل. قال تعالى: « فتحرير رقبة مؤمنة » (النساء: 92) فكلمة (رقبة) مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأنه عبر بالجزء (الرقبة) وأراد الكل (الإنسان المؤمن)، وقال معن بن أوس:

أعلمه الرماية كلّ يوم

فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي

[1]- البلاغة فنونها وأفنانها، ج2/ 134.

فلما قال قافية هجانـــي

فكلمة قافية جزء من كل هو الشعر والقوافي.

- **الكلية:** عندما نعبر بالكل ونريد الجزء، قال تعالى: « يجعلون أصابعهم في آذانهم» (البقرة: 19) فـ (أصابعهم) مجاز مرسل علاقته الكلية؛ لأنه عبر بالكل (أصابعهم) وأراد الجزء (أناملهم أي أطراف أصابعهم). وشربتُ ماء الوادي. فـ (ماء الوادي) مجاز مرسل علاقته الكلية؛ لأنه عبر بالكل (ماء الوادي) وأراد الجزء (كوب ماء مثلاً).
- **المحلّية:** عندما نعبر بلفظ المحل ونريد الموجود فيه قال أحمد شوقي:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة

وقومي وإن ضنوا علي كرام

فـ (بلادي) مجاز مرسل علاقته المحلّية؛ لأنه ذكر البلاد وأراد أهلها، والعلاقة هي المحلية.

- **المسببية:** حين يكون المعنى الأصلي سببة للمعنى الذي يطلق عليه اللفظ مجازة، أو مسببة عنه، مثل قول المتنبي يمدح محمد بن عبيد الله العلوي:

له أياد إلى سابقة

أعد منها ولا أعددها

أطلق لفظ (أياد) وهي جمع ايده بمعنى الإحسان، لأن عطاءات الإحسان تكون باليد، فهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب. كقول الله عز وجل: « وهو الذي يريكم ايته، وينزل لكم من السماء رزقا» (غافر: 13). أي؛ وينزل لكم من السماء ماء وضياء من الشمس فيخرج لما بهما نباته له ثمرات مختلفات هي رزق لكم، فالرزق مسبب ما ينزل من السماء، وهذا من إطلاق المسبب وإرادة السبب، وفائدة هذا المجاز الدلالة على المعنيين مع كمال الإيجاز.

وهي من باب تسمية الشيء باسم سببه، أو عندما نعبر بالسبب عن المسبَّب ومثل قولك: رعت الماشية الغيث) المجاز في كلمة: الغيث، فهي في غير معناها الأصلي؛ لأن الغيث لا يرعى، وإنما الذي يرعى النبات. حيث أن الغيث سبب للنبات فعُبِّر بالسبب عن المسبَّب ([1]).

- **المحلية:** كون المعنى الأصلي للفظ حا في معنى اللفظ الذي يراد استعماله بدله على سبيل المجاز، أو محلا له، مثل: قول الله عز وجل في شان شجرة الزيتون«وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ »(سورة المؤمنون 20).

أي: تنبت بنبات وثمر فيه الدهن وهو الزيت، فجاء في هذه الآية إطلاق الدهن ويراد به النبات والثمر، الذي يوجد في داخله الدهن، وهذا من إطلاق الحال في الشيء وإرادة محله، إذ الذي ينبت هي الفروع والورق والثمرات التي يوجد فيها الذهن. وفائدة هذا المجاز الإيجاز، وتوجيه نظر المخاطبين لما في شجرة الزيتون من دهن عظيم النفع للناس، كي يعطوا زيت الزيتون اهتماما كبيرا، ويشكروا نعمة الله عليهم به. ومثله: وزينتكم أي: خذوا الأشياء التي فيها زينتكم، فهذا من إطلاق الحال على المحل ([2]).

- **باعتبار ما كان:**

هنا يكون المعنى الأصلي للفظ قد كان فيما مضى على ما يطلق عليه الآن، فيطلق عليه مجازا باعتبار ما كان عليه في الماضي، بأن يستعمل اللفظ الذي وضع للمستقبل في الحال قال تعالى: « إِنَّكَ ميتٌ وإنهم ميتون» (الزمر: 31) المجاز في كلمة : ميتٌ ، فهي في غير معناها الأصلي ؛ لأن المخاطب بهذا هو النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد خوطب بلفظ (ميت) وهو لا يزال حيًا بالنظر إلى ما سيصير إليه أي باعتبار ما سيكون. قال تعالى: إنّي أراني أعصر خمراً) (يوسف: 36) أي عصيراً سيتحول إلى الخمر، إذ هو حال العصر لا يكون خمراً.

[1]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج275/2

[2]- نفسه، ج279/2.

- **باعتبار ما كان:**

كون المعنى الأصلي للفظ آلة للمعنى الذي يراد استعمال اللفظ للدلالة به عليه، مثل أن نقول: ضرب المؤدب تلميذه عشرين سوطة؛ أي: عشرين ضربة بالسوط، فجاء في هذا المثال إطلاق لفظ السوط الذي هو الة، وإرادة حدث الضرب الذي كان بالسوط، وظاهر ما في هذا المجاز من إيجاز.

أو كون المعنى الأصلي للفظ سيكون فيما سيأتي في المستقبل على ما يطلق عليه الآن، فيطلق عليه مجازة باعتبار ما سيكون عليه في المستقبل. مثل قول الله عز وجل في سورة النساء «وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا» (النساء 02): أي: إثما كبيرا مهلكة. جاء هنا إطلاق لفظ «اليتامى» على من بلغوا رشدهم ممن كانوا يتامى قبل ذلك، لأن من بلغ شده من ذكر وأنثى، فهذا من إطلاق اللفظ مجازا على الشيء بالنظر إلى ما كان عليه.

وفائدة هذا الإطلاق الإيجاز من جهتين؛ أن لفظ «اليتامى» يطلق على المذكر والمؤنث، وقوله تعالى: «وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا» (يوسف: 36). أي: أعصر عنبا ليكون فيما بعد خمرة، فأطلق في هذه العبارة لفظ الخمر على العنب باعتبار المقصود من عصره وهو أن يكون فيما بعد خمرة ([1]).

وظاهر أثر فائدة هذا المجاز الإيجاز، وهو من الأغراض البلاغية الكبرى، فبدل أن يقول: إني أراني أعصر عنبة ليكون في المستقبل خمرة، قال: إني أراني أعصر خمرا والقرينة عقلية، لأن الخمر لا تعصر.

سر جمال المجاز:

الإيجاز والدقة في اختيار العلاقة مع المبالغة المقبولة.

[1]- دراسات في البلاغة العربية، عبد العاطي علام، منشورات جامعة تونس، ط . 01، 1997، ص: 95-96.

المحاضرة السابعة:

التشبيه وأضربه:

أقوال في التشبيه:

لعل التشبيه أسبق مباحث علم البيان، فقد تكلم الناس في التشبيهات، والأمثال السائرة منذ عنوا بالنظر في شؤون الأدب والشعر، فكان التشبيه أسبق مباحث البلاغة وأدلها، وقد تتابعت فيه أقوال العلماء والنقاد، ودارت حوله مباحث كثيرة، فعرض الدكتور محمد أبو موسى بين يدي حديثه عن البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري عرضا موجزا عن تطور مبحث التشبيه ونوع فيه. كما قام به الأستاذ الخولي في بحثه عن تطور دراسة التشبيه، وأنه قد تعرض لدراسة أبى عبيدة للصور البيانية.

وقد استخلص في نهاية حديثه جهوده أنه يبدو من فهم أبي عبيدة للصور البيانية أنه لا يتعدى الفهم اللغوي، فهو يتعرض للفن البياني بحسب ما تفسره اللغة، فكلمة مجاز عنده طريق المعنى، وكلمة «مثيل، كما فسرتها اللغة ترادف كلمة تشبيه، ثم تعرض لجهود الفراء، ذكرا أنه قد خطا بالتشبيه خطوة بعد أبي عبيدة الذي اكتفى بذكر كلمة تشبيه أو تمثيل من غير زيادة أو تفصيل، ولكن الفراء تعرض للطرفين بشيء من التفصيل إلى حد أنه يبين أن التشبيه في قوله تعالى : فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» (سورة الرحمن: 37) من النوع المتعدد وإن لم يصرح بذلك. فقد شبهت السماء بالوردة في التلون، ثم شبهت الوردة بالدهن أو الدهان ، ثم أخذ يبين أحوال الوردة التي تتشابه مع أحوال السماء ، وبين وجه الشبه في التشبيه([1]).

ثم ذكر جهود الجاحظ ثم المبرد، في هذا السبيل، وبين منهج المبرد في العناية بالشواهد حتى كانت شواهده ذخرا لمن درس التشبيه بعده، وذكر أنه لم يعن بتعريف ولا تحديد ولا ضبط للأقسام، فهو إذا قسم عرف كل قسم بشواهده ومثله، ولم يذكر ضابطا واحدا فيما كتبه عن التشبيه، ثم ذكر جهود إمام أهل الكوفة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلبه؛ وأنه ذكر بعض شواهد المبرد، وأنه لم يضف شيئا إلى بحث التشبيه، لأننا لا زلنا نتعرف التشبيه عنده بمثله

[1]- دراسات في البلاغة، عبد العاطي علام، ص: 96.

وشواهده من غير ضبط ولا تقسيم، ولا بيان لأسلوب التشبيه، متعرضا لجهود ابن المعتز، وقارن بينه وبين أستاذيه المبرد وتعلمية ولحظ أنه يجعل بعض صور الاستعارة من صور التشبيه.

وقد لخص جهود الأئمة حتى نهاية القرن الثالث الهجري بقوله: وهذا عرض يوضع ملاح التشبيه في القرن الثالث لم يعرف ولم تحدد أقسامه برسوم تخصها، واعتمد في بيانه على عرض مثلي لا تخصه، بل أدخل فيها بعض مثل الاستعارات، وتمثل الفهم الأدبي في دراسة البلاغة التي تعتمد على كثرة الشواهد من الشعر القديم والحديث، وينقص هذا العرض الرائع الجميل للبيان والتحليل الأسلوب التشبيه بيان لطرفيه ووجهه والغرض منه.

ثم يذكر جهود العلماء في القرن الرابع الهجري، وفي مقدمتهم: ابن طباطبا عنيت جهوده في التشبيه، وإن بحثه أكثر تفصيلا مما رأيناه في القرن الثالث، وأننا وإن كنا رأينا تقسيما للمبرد، إلا أن تقسيم ابن طباطبا كان أقرب إلى صور التشبيه وألوانه المختلفة التي انتهى إليها و يعرض لقداسة ملخصا دراسته للتشبيه معقبا عليها بقوله: وقد خطأ قداسة بالتشبيه وتقدم به، فقد بين معناه وصفته وقسميه، وميز كل قسم ما أضفى على الأقسام من خواص وصفات، ولم يقصر كعلماء القرن الثالثة على إيراد المثل فحسب ، بل ذكر مصورا للتشبيه ميزة واضحة ، وعرض لما يحسن من التشبيه بإسهابه وإفاضة.

ويذكر الأستاذ الخولي: جهود الرمانى مبينا أن العلماء قد أخذوا عنه، ثم يذكر جهد أبي هلال العسكري، معقبا عليه بقوله: فأبو هلال عرض للتشبيه عرضا مبسوطا شاملا، فقد عرض التشبيه، وذكر أنه أداته، وبين فائدة التشبيه في الكلام، وأنه كثير وجار على جميع الألسنة، وتعرض لطريقة العرب في تشبيهاتهم، وما أبقوا منها([1]).

التشبيه أركانه وأنواعه وأغراضه:

هو أسلوب يدل على مشاركة أمر لأمر آخر في صفته الواضحة؛ ليكتسب الطرف الأول (المشبه) من الطرف الثاني (المشبه به) قوته وجماله. أو هو: إحداث علاقة بين طرفين من

[1]- دراسات في البلاغة، عبد العاطي علام، ص: 97.

خلال جعل أحدهما؛ وهو الطرف الأوّل (المشبه) مشابهاً للطرف الآخر، في صفة مشتركة بينهما.

و**أركانه** أربعة: المشبه، والمشبه به، والأداة ووجه الشبه.

فإذا كرث الأركان الأربعة، كما في المثال، فهو تشبية مرسل، فإذا حذفت الأداة فهو مؤكد، فإن حذف وجه الشبه، فهو مفضل[1]؛ نحو: زيد كالفهد في العدو. فإن حذف وجه الشبه والأداة فهو بليغ، وهو أقواها؛ نحو: محمد نجم.

والتشبيه كما يدل عليه الأصل اللغوي لهذه الكلمة هو: الدلالة على مشاركة أمر لأمره وان شئت قل: «هو الحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما، وتدرك من هذا التعريف أن هناك أمرين ألحقنا أحدهما بالآخر أو شارك أحدهما الآخر، وأن هناك معنى جمع بين هذين الأمرين، وأداة ربطت أحدهما بالآخر، تلك أمور أربعة وهي التي سموها أركان التشبيه، فالأمران هما: المشبه والمشبه به، والرابط بينهما هي اداة التشبيه، والمعنى الذي اشترك الأمران فيه وجمع بينهما من أجله هو وجه الشبه.

فإذا قلت: «اخلاقه على كالنسيم في الرقة»، فإن هذا تشبيه اشتمل على هذه الأركان الأربعة، لأنك شبهت الأخلاق بالنسيم، فالأخلاق مشبه، والنسيم مشبه به، والأداة: هي الكاف، أما المعنى الجامع بين المشبه والمشبه به، فهي الرقة وتسمي: وجه الشبه.

أركان التشبيه إذن هي: المشبه، والمشبه به، واداة التشبيه، ووجه الشبه، ولكن هذه الأركان ليست سواء فبعضها يمكن الاستغناء عنه؛ لأنه معلوم للنفس، لا تجد النفس في تقديره صعوبة ولا حرجة، بينما لا يمكن الاستغناء عن بعضها الآخر، فالذي يمكن الاستغناء عنه من أركان التشبيه: الاداة، ووجه الشبه، فيمكنك أن تقول في التشبيه السابق «أخلاقه نسيم» واذا قلت «علي كالأسد في الشجاعة»، و« فاطمة كالشمس في البهاء»، و« عزمه كالسيف في

[1]- البلاغة الميسرة، عبدالعزيز بن علي الحربي، ص:57.

المضاء» فإنك في هذه يمكن أن تستغني عن الأداة ووجه الشبه فتقول: «علي أسد»، «فاطمه شمس»، «عزمه سيف»، وسموا هذا التشبيه البليغ وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه([1]).

أما الركنان الآخران وهما: المشبه والمشبه به، فلا يمكن الاستغناء عن واحد منهما.

أركان التشبيه:

1-مُشَّبه: وهو الموضوع المقصود بالوصف؛ لبيان قوته أو جماله، أو قبحه.

2 -مُشَبَّه به: وهو الشيء الذي جئنا به نموذجاً للمقارنة؛ ليعطي للمشبه القوة أو الجمال، أو القبح، ويجب أن تكون الصفة فيه أوضح.

3 -ووجه الشبه: وهو الوصف الذي يُستخلص في الذهن من المقارنة بين المشبه والمشبه به، أو هو الصفة المشتركة بين الطرفين المشبه والمشبه به.

4-وأداة التشبيه: هي الرابط بين الطرفين.

أنواع التشبيه:

1-تشبيه التمثيل:

يسمى التشبيه تمثيلا إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وغير تمثيل إذا لم يكن وجه الشبه كذلك كون وجه الشبه مفردا لا يمنع من تعدد الصفات المشتركة ([2])، أو التشبيه التمثيلي، وهو ما كان وجه الشبه فيه منعا من متعدد؛ كقول بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

---

[1]- البلاغة فنونها وافنانها، ج17/2.

[2]- البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الحويني، ص: 88.

والمشبه. هنا. والمشبه به مرگبان، ووجه الشبه عبارة عن هيئة منتزعة من أمور متعددة تصور أجراما لامعة متفرقة تتساقط في جوانب شيء مظلم.

فإن لم يكن كذلك، فليس بتمثيل، هو تشبيه صورة بصورة ووجه الشبه فيه صورة منتزعة من أشياء متعددة، مثل قول الله تعالى :« مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ» (البقرة: 261).إذ شبه سبحانه وتعالى هيئة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته ويعطفون على الفقراء والمساكين بهيئة الحبة التي أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله سبحانه وتعالى يضاعف لمن يشاء.

وقول علي الجارم في العروبة:

توحّد حتى صار قلباً تحوطه

قلوب من العُرْب الكرام وأضلع

شبه هيئة الشرق المتحد في الجامعة العربية يحيط به حب العرب وتأييدهم بهيئة القلب الذي تحيط به الضلوع، وقوله تعالى في شأنِ اليهود. «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً» (الجمعة:05) شبهت الآية حالة وهيئة اليهود الذين حُمَّلوا بالتوراة ثم لم يقوموا بها ولم يعملوا بما فيها بحالة الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفاراً (كتباً)، فهي بالنسبة إليه لا تعدو(لا تتجاوز) كونها ثقلاً يحمله.

2- التشبيه الضمني:

التشبيه الضمني تشبيه لا يوضع فيه المشبه به في صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب، وهذا النوع يؤتي به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن (صور التشبيه المعروفة هي: ما ذكرت فيه الأداة نحو الماء كاللجين أو حذفت والمشبه به خبر نحو الماء وكان الماء لجينا. أو حال نحو سال الماء لجين. أو مصدر مبين للنوع مضاف لجين: صفا الماء صفاء اللجين، أو مضاف إلى المشبه نحو: سال لجين الماء. أو مفعول به ثان لفعل من أفعال اليقين والرجحان نحو: علمت الماء لجينا. أو صفة على التأويل بالمشتق نحو سال

مائي لجين. أو أضيف المشبه إلى المشبه به بحيث يكون الثاني بيانا للأول نحو ماء اللجين. أو بين المشبه بالمشبه به نحو جرى ماء من لجين([1]).

أو هو تشبيه خفي لا يأتي على الصورة المعهودة ولا يُصَرح فيه بالمشبه والمشبه به، بل يُفْهم ويُلْمح فيه التشبيه من مضمون الكلام، ولذلك سُمّي بالتشبيه الضمني، وغالباً ما يكون المشبه قضية أو ادعاء يحتاج للدليل أو البرهان، ويكون المشبه به هو الدليل أو البرهان على صحة نحو قول الشاعر في الحكمة:

ولا تحتقرنّ كيدَ الضعيفِ فرُبّما

تموتُ الأفاعي مِن سموم العقاربِ

فقد شبه. كيد الضعيف بسموم العقارب، ولكنه لم يتم ذلك في صورة من صور التشبيه المعروفة؛ بل جعل ذلك مضيئا.

باختصار التشبيه الضمني قضية وهي (المشبه)، والدليل على صحتها (المشبه به)

وقول ابن الرومي:

قَدْ يَشِيب الْفَتَى وَلَيْسَ عجيباً

أَنْ يُرَى النَّورُ فِى الْقَضِيبِ الرَّطيبِ

النور: الزهر الأبيض / **القضيب**: الغصن

يقول الشاعر: إن الشاب الصغير قد يشيب قبل أوان الشيب، وهذا ليس بالأمر العجيب، وليدلل على صحة مقولته أتى لنا بالدليل و هو أن الغصن الغض الصغير الذي مازال ينمو قد يظهر فيه الزهر الأبيض، فهو لم يأْت بتشبيه صريح ولم يقل: إن الفتى وقد وخطه الشيب كالغصن

[1]* البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الحويني، ص: 88- 89.

الرطيب حين ازهاره، ولكنه أتى بذلك ضمنيا، فالتشبيه الضمني لا تذكر فيه أداة التشبيه أبداً، بينما التشبيه التمثيلي غالباً تذكر فيه أداة التشبيه.

3- **التشبيه المقلوب:**

إذا عكس المتكلم طرفي التشبيه سمي مقلوبا، كقولك: البدر كمحمد، وقول الشاعر:

وبدا الصباح كأن غرته

وجه الخليفة حين يمتدح

وهو نوع من البلاغة طريف يفضي إلى ضرب من المبالغة المقبولة. وقد يشبه شيء واحد بشيئين فأكثر.

تشبيه بليغ:

وهو ما حُذِف منه وجه الشبه والأداة، وبقي الطرفان الأساسيان المشبه والمشبه به مثل: الجهل موت والعلم حياة وأشهر الصور التي يأتي عليها التشبيه البليغ

أ – المبتدأ والخبر.

مثل: الأخلاق ظل.

ب–المفعول المطلق

مثل: راوغ روغان الثعلب.

جـ–المضاف (المشبه به) والمضاف إليه (المشبه).

مثل: كتاب الحياة – معدن الأصيل ذهب.

د – الحال وصاحبها.

مثل : ركض زيد فهداً.

هـ- اسم إن وخبرها.([1])

مثل: فإنك شمس والملوك كواكب.

توضيح:

وينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى:

أ- **التشبيه المؤكد:** وهو ما حذفت أداته كقوله الشاعر : أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا

ب - **التشبيه المرسل:** وهو ما ذكرت فيه الأداة كقول الشاعر :

إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ومن المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه كقول الشاعر:

والرّيحُ تَعْبَثُ بِالْغُصُونِ وقد جَرَى

ذَهَبُ الأَصِيلِ على لُجَيْنِ الْمَاءِ

ج- **التشبيه البليغ** : وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه كما في قول الشاعر:

فاقضوا مآربكم عجالا

إنما أعماركم سفر من الأسفار

[1]- البلاغة الميسرة، عبدالعزيز بن علي الحربي، ص:58- 59.

حوصلة:

نستخلص مما سبق أن:

1-التشبيه المرسل: ما ذكرت فيه الأداة.

2 -التشبيه المؤكد: ما حذفت منه الأداة.

3-التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه.

4- التشبيه المفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه.

5- التشبيه البليغ: ما حذفت منه الأداة. ووجه الشبيه.

6- التشبيه الضمني: تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب. وهذا النوع يؤتي به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن.

أدوات التشبيه:

الركن الثالث من أركان التشبيه، الأداة.

وأداة التشبيه، هي ما يربط بين المشبه والمشبه به، وقد تكون حرفا، أو فعلا، أو اسما.

أولا: حرفا:

أ-الكاف: ويليها المشبه به دائمة، قال تعالى: « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» (النور 39)، وقال صلى الله عليه وسلم: «الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة. وقال

(رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة – باب قوله الناس كإبل مائة) 4/1973

ونحو قول البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطنه ينفطم

ب- كأن: قال تعالى: (كأنهن الياقوت والمرجان)(الرحمن: 58)، وقال البوصيري

ويرى بعض العلماء ان «كان» مركبة من كلمتين (الكاف) و (إن) الدالة على التأكيد، فالبيت السابق أصل معناه: إنهم في ظهور الخيل كنبت ربي ولكن الكاف دخلت على (إن) ففتحت همزتها ومن هنا تدرك أن «كان» أدل على تأكيد الكلام من الكاف؛ ولهذا جاءت في القرآن الكريم في المواطن التي يستحسن فيها توكيد الكلام وتثبيته في النفوس قال تعالى:

« يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر » (القمر 7)، وقال تعالى « إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ» (القمر : 20/19)

وذهب بعض العلماء إلى أنها لا تكون للتشبيه إلا إذا كان خبرها جامدة، أما إذا كان خبرها مشتقة فإنها تفيد الظن والشك، فإذا قلت: (كأن خالداً قائم) فإنها تفيد الظن، لأن (قائم) وهي خبر كان، اسم فاعل، واسم الفاعل من المشتقات، ولكن جمهرة العلماء على أنها للتشبيه في جميع أحوالها، فمعنى (كأن خالدا قائم) أي أن حالته التي هو عليها الآن تشبه حالته وهو قائم.

ثانيا، فعلا:

وقد تكون أداة التشبيه فعلا مثل: يحكي ويشبه.

وكقولنا: (هذا يشبه هذا) وأشهرها يحاكي – يشبه – يماثل.....

ثالثا: اسما:

وقد تأتي أداة التشبيه اسما، لاحظ قال الشاعر:

يا شبيه البدر حسنا

وضياء ومنالا ([1])

- إذن: قد تكون حرفاً، كـ (الكاف – كأنَّ.....)

- وقد تكون اسماً، كـ (مثل – شبه – نظير. .....)

- وقد تكون فعلاً، كـ (يحاكي – يشبه – يماثل .....)

أو هي ألفاظ تدل على معنى المشابهة، كالكاف، وكأن ومثل، وشبه، وغيرها، مما يؤدي معنى التشبيه كالمضاهاة والمحاكاة والمشابهة، والمماثلة، ونحو، وكذا ما يشتق من لفظي مائل وشابه» أو ما يرادفهما في المعني، وقد تحذف نحو: اندفع الجيش اندفاع السيل، أي كاندفاعه والأصل في –الكاف، ومثل، وشبه –أن يليها المشبه به، والأصل في كأن، وشابة، ومائل –وما يرادفها أن يليها المشبه كقوله:

كأن الثريا راحة تشبر الدجى

لتنظر طال الليل أم قد تعرضا

وكأن، تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدة نحو: كأن عليا أسد وتفيد الشك إذا كان خبرها مشتقة نحو: كأنك فاهم، وكقوله:

كأنك من كل النفوس مركب

فأنت إلى كل النفوس حبيب

وقد يغني عن أداة التشبيه «فعل» يدل عليه، ولا يعتبر أداة، فإن كان الفعل اليقين، أفاد قرب المشابهة، نحو قوله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هذا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ » (الأحقاف: 24) ونحو رأيت الدنيا سرابا غارة.

وكقول الشاعر:

[1]- البلاغة فنونها وافنانها، ج2/27-29

قومُ إذا لبسوا الدروع حسبتها

سُحُباً مزرَّرة ً على أقمار

وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركبة كقوله تعالى : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح»

(الكهف: 45) فإن المراد تشبيه حال الدنيا في حسن نضارتها وبهجة روائها في البداية وذهاب حسنها وتلاشي رونقها شيئا فشيئا في النهاية بحال النبات الذي يحسن من الماء فتزهو خضرته ثم ييبس شيئا فشيئا ثم يتحطم فتطيره الرياح، فيصير كأن لم يكن شيئا مذكورا ([1]).

أغراض التشبيه:

الغرض من التشبيه يعود في الغالب إلى المشبه: – إما لبيان إمكانه، كما في التشبيه الضمني وإما لبيان حاله؛ كقول الشاعر:

فإنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فقد أراد أن يبين حال الممدوح في رفعة تعلو الجميع.

سر جمال التشبيه: (التوضيح أو التشخيص أو التجسيد الجمال).

[1]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص: 236.

المحاضرة الثامنة:

الاستعارة والكناية:

الاستعارة؛ أنواعها وجمالتها في الكلام:

الاستعارة في اللغة من قولهم، استعار المال إذا طلبه عارية وفي اصطلاح البيانيين: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة ليست إلا تشبيه مختصر، لكنها أبلغ منه كقولك: رأيت أسد في المدرسة. فأصل هذه الاستعارة رأيت رجلا شجاعا كالأسد في المدرسة، فحذفت المشبه «رجل» والأداة الكاف –ووجه الشبه «الشجاعة» وألحقته بقرينة «المدرسة » لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعة.

وأركان الاستعارة ثلاثة:

1– مستعار منه – وهو المشبه به.

2 –ومستعار له – وهو المشبه؛ ويقال لهما الطرفان

3– ومستعار – وهو اللفظ المنقول.

ولا بد فيها من عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه، بل ولا بد أيضا من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادعاء أن المشبه عين المشبه به، أو ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلي بأن يكون اسم جنس أو علم جنس ولا تتأتى الاستعارة في العلم الشخصي لعدم إمكان دخول شيء فيه.([1])

وأصل الاستعارة تشبيه لحذف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته. ولكنها أبلغ منه لأن التشبيه مهما تناهي في المبالغة فلا بد فيه من ذكر المشبه والمشبه به. وهذا اعتراف بتباينهما. وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتداني فلا تصل إلى حد الاتحاد. بخلاف الاستعارة ففيها دعوى

[1]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص: 262.

الاتحاد والامتزاج. وأن المشبه والمشبه به صارا معنى واحدة يصدق عليهما لفظ واحد. فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة. واعلم أن حسن الاستعارة «غير التخييلية، لا يكون إلا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافية بإفادة الغرض منه لأنها مبنية عليه فهي تابعة له حسنة وقبحة([1]).

ونرى أن أبسط تعريف للاستعارة؛ هي أنها تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، ونفهم من الكلام السابق أن التشبيه لابد فيه من ذكر الطرفين الأساسين وهما (المشبه والمشبه به) فإذا حذف أحد الركنين لا يعد تشبيهاً بل يصبح استعارة؛ لاحظ الفرق بين: محمد أسد – رأيت أسداً يتكلم – محمد يزأر وهو يفترس الأعداء.

أنواع الاستعارة :

إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية أو مصرحة نحو قول الوأواء الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت

وردا وعظت على العناب بالبرد

فقد استعار اللؤلؤ للدموع، والنرجس للعيون، والورد للخدود، والعناب للأصابع، والبرد للأسنان.

وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمه المسمى «تخييلا» فاستعارة مكنية أو بالكناية.

كقوله: ومعنى تصريحية أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه ومعني مكنية أي مخفي فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شيء من لوازمه، فلم يذكر فيها من أركان التشبيه

سوى المشبه.

[1]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص: 268.

يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه، أي كلفظ المنية في نحو قول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها

ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقد شبه المنية بالسبع بجامع الاغتيال في كل، واستعار السبع للمنية وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وقرينتها لفظة «أظفاره ثم أخذ الوهم في تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الأظفار لفظ الأظفار.

فتكون لفظة أظفار استعارة تخييلية، لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الأظفار الحقيقية وقرينتها إضافتها إلى المنية ونظرا إلى أن الاستعارة التخييلية قرينة المكنية فهي لازمة لها لا تفارقها، لأن لا استعارة بدون قرينة.

وإذن تكون أنواع الاستعارة ثلاثة: تصريحية ومكنية وتخييلية ([1]).

توضيح:

- **الاستعارة التصريحية:** وهى التي حُذِفَ فيها المشبه(الركن الأول) وصرح بالمشبه به.

مثل قول أبي ماضي:

نسي الطين ساعة أنه طين

شبه الشاعر الإنسان بالطين ثم حذف المشبه (الإنسان) وذكر المشبه به (الطين)على سبيل الاستعارة التصريحية.

مثل قوله تعالى : « الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» (البقرة: 257) شبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور ثم حذف المشبه (الكفر والإيمان) وذكر المشبه به.

[1]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص: 260- 261.

(الظلمات والنور) على سبيل الاستعارة التصريحية.

(في قلوبهم مرض)، (واعتصموا بحبل الله)

– **الاستعارة المكنية:** وهى التي حُذِفَ فيها المشبه به (الركن الثاني) وبقيت صفة من صفاته ترمز إليه.

مثل: حدثني التاريخ عن أمجاد أمتي فشعرت بالفخر والاعتزاز.

المحذوف المشبه به، فالأصل: التاريخ يتحدث كالإنسان، ولكن الإنسان لم يذكر وإنما ذكر في الكلام ما يدل عليه وهو قوله: حدثني (فالدليل على أنها استعارة: أن التاريخ لا يتكلم).

ومما سبق: طار الخبر في المدينة؛ استعارة مكنية فلقد صورنا الخبر بطائر يطير، وحذفنا الطائر وأتينا بصفة من صفاته (طار)، (فالدليل على أنها استعارة: أن الخبر لا يطير). .

يهجم علينا الدهر بجيش من أيامه ولياليه – صحب الناس قبلنا ذا الزمانا.

أثر الاستعارة في الكلام؛ بلاغة الاستعارة:

وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة لأنها تجدي الكلام قوة، وتكسوه حسنا ورونقا، وفيها تثار الأهواء والإحساسات، أو قل التوضيح أو التشخيص أو التجسيد والجمال.

الكناية أركانها وأنواعها وجماليتها في القول:

تعريف الكناية:

والكناية لغة أن نتكلم بالشيء وتريد غيره، وهي مصدر كالعناية والرعاية والهداية، يقال هدى هداية، ورعي رعاية ورمى رماية وكني كناية، والظاهر أن فعلها من نوات الياء، كنى بكني مثل هدى يهدي ورمي يرمي، وحكى بعضهم فيه لغة أخرى وهي أنه واري. أي مختف([1])

[1]- البلاغة فنونها وأفنانها، ج2 / 247.

ومعرفة المعنى اللغوي يقودنا للمعنى الاصطلاحي، ومن هنا فقد عرفوا الكناية في الاصطلاح بأن تريد المعنى الأصلي وتعبر عنه بغير لفظه، كأن تريد إثبات الشجاعة لشخص ما، ولكنك تعبر عنه بغير اللفظ الموضوع له، فتقول مثلا:

(فلان خائض الغمرات) و(فلان كثير الرماد)؛ و لاشك أن كثرة الرماد توضع لمعنى الكرم، وهذا الذي اختاره الشيخ عبد القاهر – رحمه الله ، وقريب منه التعريف الذي اشتهر فيما بعد للكناية وهو أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه مع قرينه لا تمنع من ارادة المعنى الحقيقي.

ومما سبق نفهم أن الكناية لابد لها من أركان ثلاثة:

1-اللفظ المكني به.
2- المعنى المكنى عنه.
3-القرينة التي تجعل المعنى الحقيقي غير مراد سواء كانت هذه الارادة ممكنة أم غير ممكنة ([1]).

أو هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم له، أو مصاحب له، أو يشار به عادة إليه، لما بينهما من الملابسة بوجه من الوجوه، وكالكناية عن طول القامة بطول نجاد السيف ومعنى نجاد السيف: أي: حمائله، وقال البيانيون في تعريف الكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه ([2]).

المعنى اللغوي:

أما الكناية في اللغة: فهي أن تتكلم بشيء وتريد غيره. يقال لغة: كنى عن الأمر بغيره يكني كناية، أي: تكلم بغيره مما يستدل به عليه، ويقال: تكنى إذا تستر، من كنى عنه إذا ورى.

[1]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج168/2.
[2]- نفسه، ج170/2.

فأصل الكناية ترك التصريح بالشيء، وستره بحجاب ما، مع إرادة التعريف به بصورة فيها إخفاء ما بحجاب غير ساتر سترا كاملا([1]).

وبهذا نلاحظ أن المعنى الاصطلاحي للكناية قريب من المعنى اللغوي لها. فرق ما بين الكناية والمجاز إلا إرادة المعنى الأصلي للفظ مع إرادة المعنى الآخر الذي يؤتى باللفظ عنه جائزة ولها غير لازمة دائما، فقد يرداني معا، وقد تهمل إرادة المعنى الأصلي ويراد المعنى الآخر فقط، فقد يقال: فلان كثير الرماد، أي: مضياف جواد، مع أنه لا يطبخ الطعام لضيوفه الكثيرين بنار الحطب الذي يلف رمادة، إنما يطبخ لهم بما يصنع الإنسان. من آلات طبخ حديثة.

وبهذا يظهر الفرق بين الكناية والمجاز، فالمجاز لا يصح معه إرادة المعنى الحقيقي للفظ، بل يتعين فيه إرادة المعنى المجازي فقط، مثل: خطب الأسد المغوار طبية عظيمة في الجيش الهب بها المشاعر، واستثار الحماسة. فلفظ الأسد» هنا مجاز عن الرجل الشجاع، ولا يصح أن يراد به معناه الحقيقي، وهو الحيوان المفترس المعروف.

وتدخل الكناية في عموم التعبير عن المراد بأسلوب غير مباشر، فهي مما يتوارى، أو يختفي بساتر، ويدل على المقصود بلازم له، أو مقارن له، أو بطرف من أطرافه، أو نحو ذلك.

توضيح:

الكناية هي تعبير لا يقصد منه المعنى الحقيقي، وإنما يقصد به معنى ملازم للمعنى الحقيقي، أو هي: تعبير استعمل في غير معناه الأصلي(الخيالي) الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي(الحقيقي)، نحو قوله تعالى «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ» (الفرقان: 27). لو تأملنا الآية السابقة نجد أن المقصود من هذه الآية ليس المعنى الحقيقي وهو عض اليدين، وإنما يقصد المعنى الخيالي الملازم لذكر هذه الآية الذي يتوّلد ويظهر في ذهننا من: (الندم الشديد) حيث إن من ظلم نفسه بكفره بالله ورسوله ولم يستجب لدعوة الإيمان يرى مصيره

[1]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج2 / 135.

المرعب يوم القيامة ألا وهو النار فيندم على ما كان منه في الحياة في وقت لا ينفع يه الندم، فيعض على يديه؛ وقد نزل هذا الترهيب في عقبة بن أبي معيط.

أقسام الكناية:

قسم البيانيون الكناية إلى كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، وكناية عن نسبة.

1- **كناية عن صفة:** وهي التي يكنى بالتركيب فيها عن صفة لازمة لمعناه (كالكرم – العزة – القوة – الكثرة ...) لاحظ قوله تعالى: «وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ» (الإسراء:29): اليد المغلولة تطلق على البخل والمبسوطة على الكرم، ولاحظ عبارة «طويل النجاد» هي طول القامة.

2- **كناية عن موصوف:** وهي التي يكنى بالتركيب فيها عن ذات أو موصوف (العرب – اللغة – السفينة) وهي تفهم من العمل أو الصفة أو اللقب الذي انفرد به الموصوف.

نحو قوله تعالى: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ» (القلم: 48) كناية عن سيدنا يونس، ونحو قول الشاعر:

يا ابنة اليم ما أبوك بخيل

مَالَهُ مُولَــعًا بمَنْــعٍ

وهي كناية عن السفينة، ونحو قول أحمد شوقي:

لي بين الضلوع دم ولحم

هما الواهي الذي ثكل الشبابا

3- **كناية عن نسبة:** وهي التي يصرح فيها بالصفة ولكنها تنسب إلى شيء متصل بالموصوف (كنسبته إلى الفصاحة – البلاغة – الخير) حيث نأتي فيها بصفة لا تنسب إلى الموصوف مباشرة بل تنسب إلى شيء متصل به ويعود عليه، نحو قول الشاعر أبو نواس في مدح والي مصر:

فما جازه جود ولا حل دونه

ولكن يسير الجود حيث يسير

ونحو قول المتنبي في مدح كافور:

إن في ثوبك الذي المجد فيه

لضياء يزري بكل ضياء

سر جمال الكناية:

الإتيان بالمعنى مصحوبا بالدليل عليه في إيجاز وتجسيد، وقيمة

الكناية أسلوب ذكي من أساليب التعبير عن المراد بطريقة غير مباشرة، وهي من أبدع وأجمل فنون الأدب، ولا يستطيع تصيد الجميل النادر منها، ووضعه في الموضع الملائم لمقتضى الحال إلا أذكياء البلغاء وفطناؤهم، وممارسو التعبير عما يريدون التعبير عنه بطرق جميلة بديعة غير مباشرة.

المحاضرة التاسعة:

المطابقة / المقابلة

المحسنات البديعية:

قبل الحديث عن المحسنات البديعية والتفريق بين هذه المحسنات المعنوية واللفظية لا بأس أن نعرفها.

البديع في اللغة: كلمة «بديع» على وزن فعيل» تأتي لغة بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول، يقال لغة: بدع فلا الشيء يبدعه بدعه إذا أنشأه على غير مثال سبق، فالفاعل للشيء بديع، والشيء المفعول بديع أيضا ([1]).

البديع اصطلاحا:

جاء في معجم المصطلحات «البديع؛ تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمى العلم الجامع لطرق التزيين»، وهكذا نرى أن معجم المصطلحات ركز على جانب التزيين في هذا العلم وجعله ثانوية في التعبير البلاغي في حين ركز المعنى القاموسي على جانب الخلق والإبداع فكان أساسية وجوهرية في التعبير البلاغي لا ضربا من الكماليات[2]، وعلم البديع هو العلم الذي يوشي به الكلام بأوجه الحسن، وقد يكون ذلك الحسن من جهة اللفظ وقد يكون من جهة المعني، ومن هنا فلقد قسموا مباحث هذا العلم إلى قسمين:

أولا: المحسنات الجمالية المعنوية:

هي ما يشتمل عليه الكلام من تزينات جمالية معنوية قد يكون بها أحيانا تحسين وتزيين في اللفظ أيضا ولكن تبعة لا أصالة، وهي ما يرجع الجمال فيها إلى المعنى.

---

[1]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج368/2.

[2]- ينظر: علوم البلاغة البديع البيان المعاني، ص: 52.

ثانيا: المحسنات اللفظية:

المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية هي ما يرجع الجمال فيها إلى اللفظ، وليس معنى هذا أن ينظر إلى هذه المحسنات بعيدة عن والأساليب التي قررت في علمي المعاني والبيان، بل الحق أن ننظر إلى النص نظرة موضوعية

شاملة، حيث يجب أن يكون مطابقة لمقتضى الحال كما قرر في علم المعاني، وأن يكون بأسلوب مؤثر، بعيدا عن التعقيد، والمحسنات الجمالية اللفظية؛ هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية اللفظية، قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى أيضا، ولكن تبعا لا أصالة

وإذا أردنا أن نأخذ هذه المحسنات على حدة، فذلك من شأنه أن يؤدي إلى التكلف، وإلى أن يصبح الكلام باردا، ويظهر فيه التصنع الممقوت، ولذا كانت مباحث هذا العلم تذكر بعد فني المعاني والبيان، وسنقتصر على ذكر بعض هذه المحسنات مما يظهر أثره في تحسين القول، ومما له أثر في تزيين الكلام، متجنبين كل ما يمت للغرابة بصلة ([1]).

وأبرز المحسنات المعنوية:

1-الطباق، أو المطابقة:

الطباق في الأصل مصدر، يقال طابقت بين الشيئين طباقا، وقد لوحظ هذا المعنى في الطباق الاصطلاحي، أو هو الجمع بين الكلمة وضدها في الكلام الواحد، والطباق في الاصطلاح هو الجمع بين الشيء ومقابله أو الشيء وضده وقد يكون الشيئان المجموع بينهما اسمين أو فعلين أو حرفين.

[1]- البلاغة فنونها وأفنانها، ج 2/ 276- 277.

- **بين الاسمين:**

بين لفظي الظلمات والنور في قوله سبحانه: « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » (إبراهيم 01)، بين الظلمات والنور، ونحو قوله تعالى: «وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ» (الكهف 18). بين أَيْقَاظاً ورُقُودٌ.

- **بين الفعلين:**

نحو قوله سبحانه وتعالى: «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا» (النجم: 43 – 44)، بين أَضْحَكَ وَأَبْكَى وبين أَمَاتَ وَأَحْيَا.

- **بين الحرفين:**

نحو قوله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» (البقرة: 286) بين لها وعليها.

والطباق نوعان:

أ – **طباق إيجاب:** إذا اجتمع في الكلام المعنى وعكسه تماما، نحو :نحو قوله تعالى: « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (آل عمران: 26 – 27) فكلمة تُؤْتِي عكسها تنزع، وَتُعِزُّ عكسها وتُذِلُّ.....).

ب – طباق سلب: هو أن يجمع بين فعلين أحدهما مثبت، والآخر منفي، أو أحدهما أمر والأخر نهي، نحو قوله تعالى: « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» (الزمر:09)، و نحو قوله تعالى: « فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْن» (المائدة: 44).

2- **المقابلة: هي** أن يؤتى بمعنيين أو أكثر أو جملة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك الترتيب كقوله تعالى: «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً» (التوبة: 82)، وقول الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ونحو قوله تعالى: «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِث» (الأعراف: 157)، ونحو قوله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» (الليل: 05 -10).

فائدة: ويسمى بالمطابقة، وبالتضاد، وبالتطبيق، وبالتكافؤ، وبالتطابق، وهو: الجمع في الكلام بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين أو النقيضين أو الإيجاب والسلب، أو التضايف([1]).

3-**المشاكلة:**

المشاكلة هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته([2])، كقوله تعالى: « إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (المائدة: 116)

وكقول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقول النبي: «إن الله لا يمل حتى تملوا»، وكقول الشاعر:

قالوا اقْتَرِحْ شيئاً نُجِدْ لك طَبْخَهُ

[1]- جواهر البلاغة، ص: 303.
[2]- نفسه، ص: 309.

قلت اطْبُخُوا لي جُبَّةً وقميصا ([1]).

الأثر الفني للطباق والمقابلة: يعملان على إبراز المعنى وتقويته وإيضاحه وإثارة الانتباه عن طريق ذكر الشيء وضده أو قل: بالضد تتمايز الأشياء وما يظهر حسن الضد إلا ضده.

المحاضرة العاشرة:

الجناس:

اتفاق أو تشابه كلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، وهو نوعان:

أ – جناس تام (موجب): و هو ما اتفقت فيه الكلمتان في أربعة أمور؛ نوع الحروف وعددها وترتيبها وضبطها.

نحو قوله تعالى: « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ» (الروم: 55)

وكوقلك: صليت المغرب في أحد مساجد المغرب، ونحو قول الشاعر:

أَرْضِهم مادمت في أَرْضِهم

ب – جناس ناقص (غير تام) : و هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة : نوع الحروف وعددها وترتيبها وضبطها، الاختلاف في نوع الحروف : مثل قول أبي فراس الحمداني:

من بحر شعرك أغترف

وبفضل علمك أعترف

الاختلاف في عدد الحروف:

[1]- البلاغة الميسرة، عبدالعزيز بن علي الحربي، ص: 83.

فيا راكب الوجناء هل أنت عالم

فداؤك نفسي كيف تلك المعالم

الاختلاف في الترتيب: نحو قول أبي تمام:

بيض الصفائح لا سود الصحائف

في متونهن جلاء الشك والريبِ

الاختلاف في الضبط:

يا لَلغروبِ وما بهِ من عَبْرةٍ

للمُستهامِ وعِبْرةٍ للرّائي

سر جمال الجناس:

أنه يحدث نغماً موسيقياً يثير النفس وتطرب إليه الأذن، كما يؤدِّى إلى حركة ذهنية تثير الانتباه عن طريق الاختلاف في المعنى، ويزداد الجناس جمالاً إذا كان نابعاً من طبيعة المعاني التي يعبر عنها الأديب ولم يكنْ متكلَّفاً وإلا كان زينة شكلية لا قيمة لها؛ أي أنه يعطى جرساً موسيقياً تطرب له الأذن ويُثير الذهن لما ينطوي عليه من مفاجأة تقوى المعنى.

المحاضرة الحادية عشر:

السجع:

والسجع لا يكون إلا في جملتين أو أكثر، فاذا توافقت كلمتان في جملة واحدة فلا يسمى سجعا، كقول الزمخشري: ويل للمساكين من المساكين، (بتشديد السين وفتحها) أي البخلاء،

فهنا توافقت الكلمتان في الحرف الأخير وكانتا في جملة واحدة لا يسمى سجعا، لأن السجع لا يكون إلا بين فاصلتين أو أكثر في جملتين أو أكثر.

والسجع على ثلاثة أنواع مطرف، ومرصع، ومتواز.

- **المطرف:** أن تختلف الفاصلتان في الوزن مع الاتفاق في الحرف الأخير، كقوله تعالى: « ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا» (نوح: 13- 14)، فوقارا فاصلة القرينة الأولى، لأنه الكلمة الأخيرة منها ، وأطوارا، فاصلة القرينة الثانية، وقوله جل شأنه : «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول»

فقد أتفقت الفواصل –في هذه السورة في التقنية –الحرف الأخير –دون الوزن. وسمى هذا النوع مطرفا لبلوغه طرف الحسن وغايته بالنسبة لغيره.

ب –المرصع: ويسمى الترصيع؛ أن يكون ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابلها من الأخرى في الوزن والتقفية، كقول الحريرى:

فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه

ويقرع الأسماع بزواجر وعظه

وكقول أبي الفضل الهمداني: (إن بعد الكدر صفو، وبعد المطر صحوا. ([1])

ج– الموازي: هو ما لم يكن جميع ما في القرينة، ولا أكثره مثل ما يقابله من الأخرى، ويختم في التوافق بالكلمتين الأخيرتين من الفقرتين فقط، وهذا صادق بأمور؛

- أن يكون الاختلاف في الوزن والتقنية معا.
- أن يكون الاختلاف في الوزن دون التقفية.

[1]- دراسات في البلاغة، عبد العاطي علام، ص: 216- 217.

- أن يكون الاختلاف بالعكس.

النوع الأول نحو قوله تعالى: « فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ » (الغاشية: 13-14) ولفظ فيها لا اعتبار له لعدم وجود ما يقابله، السرر؛ وهو نصف القرينة الأولى يقابله أكواب من القرينة الثانية، وقد اختلفا وزنا وتقفية، ومثلهما ما ورد في دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم: عن أَبي موسى الأشعرِيِّ: أَنَّ رسولَ اللَّهِ كانَ إِذَا خَافَ قَومًا قَالَ: « اللَّهُمَّ إِنَّا نجعلُكَ في نحورِهِمْ، ونعُوذُ بِكَ مِنْ شرُورِهِمْ». رواه أَبُو داود والنسائي بإسنادٍ صحيحٍ.

و نحو النوع الثاني: قوله تعالى: «وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرا عُذْراً أَوْ نُذْراً إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ» (المرسلات: 01 – 07)، فقد اختلفت المرسلات والعاصفات، في الوزن؛ فالأولى على وزن مفعلات والثانية على وزن فاعلات، ولكنهما توافقا في التقفية، إذ أن قافيتهما معا هي التاء.

المحاضرة الثانية عشر:

البلاغة والأسلوبية:

إن الحديث عن العلاقة بين البلاغة والأسلوبية يجعلنا نعمق البحث في جذور علم قديم قدم الوجود الإنساني، فالبلاغة علم تراثي متجذر في الموروث البشري، وبخاصة عند اليونان والعرب، وهو ما يطلق عليه "البلاغة القديمة" لكن هذا العلم لم يبق حبيس عصره بل ساير التطور الإنساني بكل ما تحمله العبارة من دلالة، والدراسات الحديثة والمعاصرة أطلقت على الدرس البلاغي تسميتان هما: البلاغة الحديثة، والبلاغة المعاصرة ([1])؛ حيث ألبست البلاغة حلة جديدة معاصرة لما وجدت من تداخل وتقاطع بينها وبين العلوم القريبة منها، وبخاصة الأسلوبية والشعرية والتداولية.

تداخل البلاغة والأسلوبية:

تقيم البلاغة والأسلوبية، منذ زمن، علاقات متينة؛ تتقلص الأسلوبية أحيانا حتى لا تعدو أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي، وتنفصل أحيانا عن هذا النموذج وتتسع حتى

[1]- ينظر: علاقة البلاغة بالتداولية، د. عمار لعويجي، مقال منشور، العدد 12 سبتمبر 2017، ص: 03.

لتكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها بلاغة مختزلة. ويصدق مثل هذا القول على العلاقة بين البلاغة والأسلوبية من جهة، والشعرية من جهة أخرى. فالشعرية البلاغية –كالتي شاعت في عصر النهضة –تركز على المقومات البلاغية وعلى استعمالها. في حين أن شعرية الأسلوب. مثل شعرية ليوسبيتزر (1928)، تعالج أدبية النص باعتبارها مجموعة من الخصائص الملازمة للغة الجمالية. وقد أبانت هذه الترابطات، عبر التاريخ، عن تناقضات عدة، فنظرية الأسلوب الزاهد في الأثر (أو التأثير) تتعارض مع البلاغة التي تسعى إلى الإقناع عن طريق الاحتجاج. وأخيرة فإن التصور المثالي للأدب يضع حدا واضحا بين الشعر والخطابة؛ فالشعر هو الشعور؛ إنه نقيض للفن الخطابي ([1]).

المحاضرة الثالثة عشر:

البلاغة والشعرية:

قبل الحديث عن الشعرية لا بأس أن نعرج على مفهوم الشعر حتى نفهم الشعرية.

مفهوم الشعر؛ وهنا ترد التعريفات التي يقدمها الفلاسفة متجانسة تجانسا تاما. وتتشكل في قالب معادلات تريد أن تعتصر هذا الحدث الهائل:

بين الشعر والشعرية:

الشعر:

تعد مادة « شعر» في اللغة العربية تدل على العلم والفطنة، يقال:« شَعَر به أي؛ علم به، وأشعره الأمر وأشعره به؛ أعلمه إياه، وشعر به: عقله، وتطلق على الكلام المخصوص بالوزن والقافية، يقال: شَعر الرجل أي؛ قال الشع ؛ والشعر: منظوم القول، وقائله: الشاعر، وسمي شاعرة لفطنته، و « شعر شاعر » جيد، أريد بهذه العبارة المبالغة والاشادة . والشعرية مصدر صناعي وضع للدلالة على اللفظة الفرنسية Poetique أو اللفظة الانكليزيةPoétic ([2]).

[1]- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، تر وتعل: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص: 19.
[2]- الشعرية، أحمد مطلوب، منشورات كلية الآداب، جامعة بغداد، ذ. ت، ص:45.

ونجد أيضا تعريف الفارابي للشعر موزعا على تحمل الرسالة، ولكننا نستطيع أن نختزله في المعادلة التالية؛ (قول) + (جازم) + (كاذب) + (محاكاة) + (تخييل) = شعر، علما بأن الفرق بين تعريفه وتعريف كل من ابن سينا وابن رشد يكمن في كونه يعتبر التخييل ينتج عن المحاكاة ويتولد عنها، في حين يستخدمه ابن سينا وابن رشد كمرادف للفظ محاكاة.

يقول ابن سينا: «ان الشعر هو كلام مخيل»، ويستخدمه كمرادف للفظ محاكاة، ويعرفه ابن رشد قائلا: « الأقاويل الشعرية هي الأقاويل المخيلة» ويستخدم لفظ التخييل كمرادف لكلمة المحاكاة « والمحاكاة في اللفظ أعني الأقاويل المحلة الغير موزونة » كذا في الأصل، ويتجلى التجانس الحاصل بين هذه التعريفات في الحاحها جميعا على خاصيتي (التخييل / والمحاكاة)، وهو تجانس في غاية الأهمية لأنه يتجاوز العبارة الى الرؤية. أن الرؤية واحدة. منبتها يتجاوز الشخصي الذاتي الضيق ويضرب بجذوره عميقا في نظام معرفي محدد هو النظام البياني. هذا النظام يرد مستترا غاية التستر. فيطفح به الالحاح على مبدأ التخييل. وترشح به إيماء، وخطفا، الدلالة التي يشحن بها مفهوم المحاكاة ([1]).

كان كتاب أبوطيقا أي؛ الشعر لأرسطو قد نقله بشر بن متى من السرياني الى العربي، وهو أول كتاب خصص بكامله لنظرية الأدب والوقوف على خصائص أنماط الخطاب الأدبي. ولم يطلق عليه العرب اسم **الشعرية** وانما سموه أبو طيقا أو الشعر واشتهر بالاسم الأخير ولخصه الفلاسفة المسلمون ، ووجد طريقه الى كتبهم ، وبعض كتب البلاغة والنقد العربية.

والشعرية من الألفاظ التي حاول الشكلانيون الروس بعثها، ولم يعرفها العرب القدماء بمعناها الحديث، وإنما ترددت عندهم ألفاظ مثل والشاعرية وشعر شاعر والقول الشعري والقول غير الشعري والأقاويل الشعرية ([2]).

وليس الفرق بين القصيدة والمقطعة مجرد فرق بين الايجاز والاطالة، كما ليست الكتابة فيها أمرا ميسورا لكل الشعراء، بل لقد نظر النقاد هذا التصنيف على أنه بضم عنصرين

[1]- الشعر والشعرية، محمد لطفي اليوسفي، الدار العربية للكتاب، 1992، ص: 231 .
[2]- الشعرية، أحمد مطلوب، منشورات كلية الآداب، جامعة بغداد، ذ. ت، ص: 44.

متمايزين رغم اشتراكها في نفس البحور الشعرية، ولهذا ميزوهما بخصائص أخرى تجعلها بمثابة نوعين فرعيين لنوع القريض.

وفي أساس البلاغة يقال: «شعر مقصد ومقطع، كما يقال: « جاء بمقطعات من الشعر وبمقطوعة وقطعة، والقصيدة هي في حد ذاتها قطعة مادامت لها بداية ونهاية، ولكن القطعة سميت كذلك لمقارنتها بكم القصيدة . والأصل اللغوي ل «قصيدة» يدل على القطعة كما جاء في نضرة الأغريض»: «أنما اشتقت لفظتها من القصدة وهي القطعة من الشيء، إذا تكسر كأنها قطعة من الكلام، ومن ذلك رمح قصد وقد تقصد اذا صار قطعا، والتقسيم يكون حسب كم الأبيات لا يعطى هذين القسمين فقط، بل يعطي كذلك قسمي اليتيم وه النتفة. فما كم أبيات كل قسم؟ أن «اليتيم وهو البيت الواحد. وسمى أيضا «الدرة اليتيمة فاذا بلغ الشعر بيتين أو ثلاثة سمي «نتفة»، ويسمى قطعة، إذا وصل إلى عشرة أبيات، أما كم «القصيدة، فعشرون بيتا على الأقل.

وهذا تصنيف العرب كما يقول عنهم الفراء. والأخفش جعل ما كان على ثلاثة أبيات قصيدة. ولكن ابن جنى يرى أن «العادة» أن تسمى أي مجموعة أبيات من ثلاثة إلى خمس عشرة قطعة، وما زاد على ذلك قصيدة (). وابن رشيق يروى عن العرب رأيا آخر في تحديد كم الشعر: قيل إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة، ولهذا كان الايطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس، ومن الناس من لا بعد القصيدة الا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو بيت واحد، فهذا التحديد الأخير ينطبق على القطعة كا حددها الفراء لا القصيد([1]).

وعلينا، لكي نفهم الشعرية، أن ننطلق من صورة عامة، وبطبيعة الحال مبسطة إلى حد ما، عن الدراسات الأدبية، وليس من الضروري مع ذلك، أن نصف التيارات والمدارس الموجودة، بل يكفي أن نذكر بالمواقف المتخذة بشأن عدة اختبارات أساسية، وينبغي قبل كل شيء التمييز بين موقفين، يرى أولهما في النص الأدبي ذاته موضوعا كافيا للمعرفة، ويعتبر ثانيهما كل نص معين تجليا لبنية مجردة، يعرض بصفة تامة عن الدراسات التي تتناول حياة الكاتب بما أنها ليست «دراسات». وهذان الاختياران لا تعارض بينهما، كما سنرى، بل يمكن

[1]- الشعرية العربية الأغراض والأنواع، رشيد يحياوي، إفريقيا الشرق، ط . 01، 1991م، ص: 11.

القول بأن كل واحد منهما بقف، بإزاء الآخر موقف تكامل ضرورية، ورغم ذلك يمكننا التمييز بوضوح بين هذين الاتجاهين بحسب التأكيد على أحدهما دون الأخر.

ولنقل في البداية بضع كلمات عن الموقف الأول، الذي يذهب إلى أن العمل الأدبي هر الموضوع النهائي والأوحد، وله من الآن فصاعدة التأويل، ولا شك أن التأويل، ويسمى أحيانا تفسيرا أو تعليقا أو شرح نص، أو قراءة أو تحلية أو ببساطة أيضا نقدا (وهدا التعداد لا يدل على استحالة التمييز أو حتى التعارض بين بعض هذه الألفاظ...) يتحدد، بالمعنى الذي يحمله عليه هنا، وهو جعل النص يتكلم بنفسه، وبعبارة أخرى، أنه الوفاء للموضوع أي للآخر، وبالتالي أشياء الذات.

وجاءت الشعرية فوضعت حدا للتوازي القائم على هذا النحو بين التأويل والعلم في حقل الدراسات الأدبية، وهي بخلاف تأويل الأعمال النوعية، لا تسعى إلى تنمية المعني، بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل، ولكنها بخلاف هذه العلوم التي هي علم النفسي وعلم الاجتماع، ... الخ، إذ تبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته. فالشعرية إذن مقاربة للأدب، مجردة و «باطنية» في الآن نفسه، وليس العمل الأدبي موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي. وكل عمل عندئذ لا يعتبر إلا تجليا لبنية محددة وعامة، ليس العمل إلا إنجازه من إنجازاتها الممكنة. ولكن ذلك فإن هذا العلم لا يعني بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن، وبعبادة أخرى يعني بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، في الأدبية ([1]).

مكونات الشعرية:

هي صفة الشعر؛ ويأتي الاهتمام بالشعرية متولدا عضويا عن الاهتمام بفعل الشعر أي النظر في الشعر من زاوية فعله ووظيفته. ذلك أن الفعل لا يمكن أن يتحقق وحدث الا مني اكتملت شروطه واعتملت فيما بينها، فيكون الفعل الحادث حصل ذلك الاعمال ونتيجته، ولقد كان من

[1]- الشعرية، تزفيطان طودوروف، تر: شكري المبخوت، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط. 02، 1990، ص: 20 و23.

الطبيعي أن تتجه القراءة (قراءة الفلاسفة العرب) وجهة أخرى مغايرة لوجهة أرسطو فتعي بمحاصرة الشروط الكامنة وراء ذلك الفعل؛ فعل الشعر.

وترد الإجابة عن هذا المشغل مضمرة في التعريفات التي حدوا بها مفهوم الشعر؛ وهي تعريفات تلح جميعا، على أن الشعر كلام تضاف إليه صفة محددة هي النخيل عند كل من ابن سينا وابن رشد. وهي المحاكاة التي ينتج عنها التخييل عند الفارابي. ووقتها فقط يصبح لذلك الكلام مقدرة على الفعل الشعري.

يعني هذا أن الاهتمام كان متمحورة حول الشعرية وهو يعني من جهة أخرى أن الشعرية تقع في الشعر ولكنها ليست ماهيته أو جنسه أو نمطه آن صفة الشيء جزء منه ولكنها مفارقة له إن لها كيانا مستقلا هو الذي يمنحها هويتها كصفة لا كراهية. ([1])، وهنا لابد عن ثنائية الشعرية والجمالية.

الشعرية والجمالية:

إن الشرط التالي غالبا ما يصاغ فيطالب به كل تحليل أدبي سواء أكان بنيويا أم لا : لكي نعتبر التحليل مرضيا، فإن عليه أن يكون قادرا على تفسير القيمة الجمالية لعملي ما، أي بعبارة أخرى، له من القدرة ما يفسر علة حكمنا علي هذا العمل أو ذاك بالجمال دون غيره من الأعمال، وإذا لم يتوصل إلى تقديم إجابة مرضية على هذا السؤال، يذهب الاعتقاد إلى أنه قد برهن على فشل التحليل، فيقال: إن نظريتك جميلة لاريب ولكن ما فائدتها إن هي لم تكن قادرة على تفسير الأسباب التي من أجلها حافظت الإنسانية على تلك الأعمال التي تكون موضوع دراساتك وتذوقتها هي بالذات؟

ولم يبق النقاد مكتوفي الأيدي تجاه هذه المؤاخذة، وسموا باطراد إلى الرد عليها وتقديم ومنة إذا ما طبقت أليا أنتجت الجمال. ونكاد لا نجد حاجة إلى التذكير بأن هذه الوصفات قد هاجمها دوما نفاد الجيل اللاحق بعنف، ولم نعد اليوم تتذكر، ونر لمجرد الذكري، المحاولات التي وجدت لفهم الجمال حسب متطلبات كونية. ولنذكر هنا، دون مقدمات، بواحدة تستحق

[1]- الشعر والشعرية، محمد لطفي اليوسفي، الدار العربية للكتاب، 1992، ص: 236 .

على الأقل الانتباه نظرا لمكانة صاحبها وهو هيجل الذي كتب في فكرة الجمال: « مثلما تتوافق الحالة المثلى في العالم مع عصور محددة نؤثرها على عصور أخرى، يختار الفن المصور التي يقدمها وسطا معينا نفضله على أوساط أخرى هو وسط الأمراء، وليس ذلك بموجب شعور أرستقراطي أو بموجب حقيبة التميز.

إن مجيء الشعرية طرح من جديد المسألة المحتومة: قيمة العمل، وما إن نسعى مستلهمين مقولاتها، بوصف ينيه عمل معين وصفا دقيقا حتي نواجه الاحتراز نفسه المتعلق إمكانية تفسير الجمال ([1]).

والحديث عن الشعرية كمرحلة انتقالية أننا رأينا منذ البداية أن الشعرية تتحدد من حيث كونها علم بالأدب، ففي ذلك مغايرة للفاعلية التأويلية للأعمال الفردية التي لها سمة الأدب ولكنها ليست بعلم)، وفي الوقت نفسه، مغايرة للعلوم الأخرى، مثل علم النفس وعلم الاجتماع ما دامت جعلت الأدب نفسه موضوعا للمعرفة، بينما كان يعتبر في السابق تجليا من جملة تجليات النفسية أو المجتمع.

إن بادرة تأسيس الشعرية لا يمكن مؤاخذتها بما أن كل ما فعلته إنما مر ضمها إلى حقل المعرفة ما لم يستعمل قبل ذلك إلا طريقة وصلة إلى معرفة موضوع أخر، وقد حدث أن كانت لهذه البادرة تبعات متعددة لم تغفل في الحقيقة الكشف عنها منذ البداية. إننا إذ نؤسس الشعرية فنا مستقلا، موضوعة الأدب من حيث هو أدب، فإننا نعلن من باب المصادرة عن قيام هذا الموضوع بذاته. فإذا لم تكن هذه الاستقلالية كافية فإنها لن تمح بتكوين خصوصية الشعرية. لقد أطلق بابون سنة 1919 هذه المقولة التي أصبحت تناك شهرة: « ليس موضوع العلم الأدبي هو الأدب وإنما الأدبية، أي ما يجعل من عمل معين عملا أدبيا، إن المظاهر الأشد أدبية في الأدب، والتي ينفرد لوحده بامتلاكها، هي التي تكون موضوع الشعبية ([2]).

[1]- الشعرية، تزفيطان طودوروف، تر: شكري المبخوت، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط. 02، 1990، ص: 79 – 80.
[2]- نفسه، ص: 80

علاقة البلاغة بالتداولية:

البلاغة علم قديم متجذر في التراث الإنساني وخاصة عند اليونان والعرب لما فيه من إمكانات معرفية وإجرائية تساهم في تحليل الخطاب ونقده، مقدمة نفسها – البلاغة بوصفها المعرفة الجديرة بالاهتمام لما صارت تحظى به الخطابات التداولية؛ السياسية والدينية والإعلامية،...، من وقع لدى المتلقي ولأجل ذلك اتجهت مجموعة من الدراسات إلى استثمارها في تحليل نصوص تنتمي إلى أنواع خطابية مختلفة « والحق أن التحليل البلاغي للأدب وإن أسهم في إبراز المكون الحجاجي الذي تنبني عليه معظم الأعمال الأدبية الكلاسيكية ، إلا أنه لا يمكنه اختزال تلك الأعمال فيما تضطلع به وظائف تأثيرية عملية إنه سيظل تحليلا يتطلبه نوع من الإنتاج الأدبي للأعمال الكلاسيكية والشعر السياسي». ([1]).

إن الباحث في البلاغة العربية يلحظ ذلك التقارب بين كثير من مباحثها، وبين ما أورده كل من أوستين وسورل في نظرية الأفعال الكلامية والتي من أهم مرتكزاتها:

أ- كل قول يقصد به إنجاز فعل ما، في النطق بالجملة هو إنجازها وإنشاؤها.

ب- إن فعل التلفظ بالقول يعتبر من منظور أوستين فعلا بل فعلا أساسيا من قوى القول، ويتمثل في إنتاج أصوات وعبارات مفيدة ذات دلالة طبق أحكام النحو المعجمية والصرفية والإعرابية.

ج-الفعل المقصود بالقول، هو الفعل الإنجازي الحقيقي لأنه فعل ينجز بقول ما ولأجل ذلك سمى أوستين الوظائف اللسانية المتضمنة في هذه الأفعال القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك:

السؤال واجابة السؤال، والوعد، والأمر، والتأكيد... إلخ.

د- فعل التأثير بالقول، هو ما ينتج عن القول من أثار للمخاطب إثر القول من قبيل: الإقناع، والإرشاد والتضليل، والتثبيط... إلخ ([2]).

[1]- البلاغة والسرد، محمد مشبال، منشورات كلية الآداب، تطوان، المغرب، ط. 01، 2010، ص: 50.
[2]- ينظر: علاقة البلاغة بالتداولية، د. عمار لعويجي، مقال منشور، العدد 12 سبتمبر 2017، ص: 04.

إن توجه البلاغة نحو الأثر التداولي يظهر في تمييزها منذ القدم بين ثلاثة أنماط أساسية من المقصدية، واحد منها فكري واثنان عاطفيان؛ أحدهما معتدل والثاني عنيف انفعالي أو تهييجي، المقصدية الفكرية، وتضم مكونة تعليميا ومكونة احتجاجيا، ومكونا أخلاقية. وليست هذه المكونات منفصلة بعضها عنن بعض، بل إنها متداخلة على الدوام.

أ. الغرض التعليمي: ويهتم بأخبار المتلقي بواقع ما دون استدعاء العواطف، ويتولاه الجانب الإخباري من الخطاب، كما يقوم أيضا على تقديم موضوعي (كما في النصوص العلمية والإخبارية.

ب – الغرض الحجاجي: ويتمثل في جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل. ويمكن أن يتحقق هذا الغرض بالحجة المادية (الحجة غير الصناعية المعتمدة على الوقائع الموضوعية العقود والشهادات)، وعلى الخليفة العامة المكونة من آراء المجتمع ما يهم الأخلاق مثلا)، ويتحقق هذا الغرض، من جهة أخرى، بالحجة المنطقية وشبه المنطقية (الصناعية)، التي تسير من الخاص إلى العام الاستقراء، أو من العام إلى الخاص (الاستنباط). والغرض من ذلك هو جعل غير المحتمل محتملا، وغير الأكيد أكيدا.

ج – الغرض الأخلاقي: ويتعلق بتعليم المجتمع في مجال الأخلاق ، يتضمن عناصر تعليمية واحتجاجية، كما يتضمن دعوة إلى العقل، وسجل عناصر النصح هنا الانتقال من المقاصد الفكرية إلى المقاصد العاطفية. إن هذا المقصد الأخلاقي يظهر في جميع النصوص التعليمية([1]).

[1]- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، تر وتعل: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص: 25.

المحاضرة الرابعة عشر:

بلاغة الخطاب النثري:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حدثنا عبد الله بن يوسف: أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –: أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن من البيان لسحرا، أو إن بعض البيان سحر» صحيح البخاري – 5767.

من هنا تتجلى قيمة النثر وبراعة قائليه، وهنا نتوقف عند تحديد مفهوم النثر عند علماء اللغة.

مفهوم النثر والخطاب النثري:

النثر والخطاب النثري مصطلحان متداولان في النقد العربي القديم بمعنى النثر، ويستعمل هذا المصطلح كقسيم للخطاب الشعري، والاثنان يجمع بينهما الخطاب الأدبي، وهذا ما يؤكده مسكويه بوضوح في قوله: «إن النظم والشعر نوعان قسيمان تحت الكلام، والكلام جنس لهما؛ (الخطاب –الكلام هنا)، فالخطاب لفظ عام ليس خاصا بالنثر والشعر فحسب، بل يطلق على مجالات أخرى كالدين، والسياسة، والفلسفة وما إلى ذلك» ([1]).

ولتحديد مفهوم النثر ومعرفه ماهيته لا بد من البدء بالوقوف على الجذر اللغوي المصطلح (نثر) في معاجمنا اللغوية، والتي تقصر همها في تعريفه على الدلالة المادية الحسية التي هي الأصل، ثم الوصول به إلى أن أصبح مصطلحا لذلك الفن القولي الذي يقابل الشعر.

النثر لغة: من مادة نثر، والنثر؛ نثرك الشيء بيدك؛ أي؛ ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحبَّ إذا بذر، وهو النِثار والنُثار: فتات ما يتناثر حوالي الخوان من الخبز ونحو ذلك من كل شيء ([2]).

---

[1]- الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لابن الأثير، بن مساهل باية، رسالة ماجستير، 2008، جامعة المسيلة، ص: 07.

[2]- لسان العرب، لابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت)،مادة (نثر) ، ج3/ 578.

يقول ابن خلدون: « اعلم أن لسان العرب، وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفي، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية، وفي النثر وهو الكلام غير الموزون »[1].

الأنواع والأجناس الأدبية النثرية:

لا شك أن الأدباء العرب قد كتبوا أفكارهم ورسموا مشاعرهم وحكوا قصصهم واستفاضوا بعواطفهم من خلال أشكال وقوالب أدبية متعددة اقتضتها الظروف الشخصية والنفسية والاجتماعية والقبلية والدينية المعاصرة لهؤلاء الأدباء، وهذه القوالب أو الأجناس والأنواع الأدبية تمثلت في: (سجع الكهان – المفاخرات – المنافرات – المناظرات – المحاورات – الروايات – الخطابة – التوقيعات – الحكم – الامثال – الوصايا – الرسائل – المواعظ– الوصف – العهود – الأجوبة الأحاديث الشعبية – القصة – المقامات المسرحية – المقالة الخاطرة – المحاضر – التقارير – الحوار – (السناريو) النشرات – المقابلات الشفوية والكتابية) إلى (الرجز – الشعر).

كما أن القرآن الكريم وباعتراف كل الأدباء والنقاد والمفكرين جاء بأسلوب أدبي بارع فأضيف هذا الكتاب المقدس إلى الأنواع الأدبية العربية، وكذلك حديث الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –، وأدعيته وأصبح عدد فنون الأدب التي رسم بها الأدباء مشاعرهم تتجاوز الثلاثين فنا وقالبا ([2]).

أنواع النثر:

والنثر عند النقاد مقسوم إلى قسمين:

1–النثر العلمي

2– والنثر الأدبي

[1]- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تح: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط، 01، ص: 724.
[2]- أشكال خطاب النثر الفني النظري، حسين علي الهنداوي، كتاب مصور بدون دار ولا بلد أو سنة النشر، ص:23.

وهما فنان يستخدمان في الكتابة، الأول يستعمل لغة العقل، والثاني لغة العاطفة على الأصل فيهما، وعلى هذا الفرق الأساسي قامت أوجه الخلاف بين أسلوبيهما.

1-النثر الأدبي:

أما النثر الأدبي فيمتاز بقوة العاطفة التي تؤثر في عباراته تأثيرا واضحا يبدو في الكلمات والصور، والتراكيب، وليس معنى ذلك خلوه من الأفكار القيمة والحقائق المبتكرة؛ كلا فإن الحقيقة عنصر أدبي هام وهي في النثر ألزم، لذاتها أولا، ولأنها تسند العاطفة وتبعث فيها القوة ثانيا. لذلك نجد هذه الفنون الأدبية للنثر تعتمد على العنصر العقلي مهما تتوسل بقوة الشعور، وجمال التعبير، نجد ذلك في الرواية، والرسالة، والخطابة، والوصف والمقامة ونحوها. وإذا كان الوضوح هو الصفة الأصلية في الأسلوب العلمي، فهو هنا لازم كذلك للأسلوب الأدبي مع صفتي القوة والجمال.

2-النثر العلمي:

وإذا كان الأصل في هذا النوع قيامه على العقل، ونشر الحقائق الفكرية، والمعارف العلمية والفلسفية فليس يخلو من العاطفة خلوا ما، حتى قال بعض النقاد: ليست هناك نصوص خالية من العاطفة إلا أن تكون الأرقام الحسابية، والرموز الجبرية، والعلمية. ويمكن للقارئ أن يتبين مظاهر العاطفة في الآثار الفلسفية والتاريخية والسياسية، الاقتصادية، والاجتماعية فيما يحس به من حرص الكاتب على نشر آرائه، وصدق عقيدته فيها، وترجيحه بعض الأفكار، وإعجابه بشخص أو عمل ثم ازدرائه آخر واستخدامه الخيال في سد النقص الروائي وإكمال ما فات المؤرخين، ولا شك أن أغلب النقاد يرون أن للنثر مستويات ثلاثة ([1]):

1- **النثر العادي:** يقصد به الأحاديث اليومية الحوارات والسرد أو ما يتفاهم الناس من خلاله.

2-**النثر العلمي:** وهو ما كتبت فيه العلوم والمعارف ويشمل مستويات التأليف المختلفة.

[1]- - أشكال خطاب النثر الفني النظري، حسين علي الهنداوي، كتاب مصور بدون دار ولا بلد أو سنة النشر، ص:35- 36.

3-**النثر الفني:** وهو ما يعبر به عن عالم الذات، أو المجتمع برؤية خاصة لطبائع الناشر نفسه وفلسفته للتأثير في الآخرين وإدهاشهم بالفكرة وجمال عرضها وحسن وقعها، وإذ كانت لا تعرف زمنية نشأة النثر الفني العربي بوجه الدقة، فإن بعض الباحثين أشار إلى:

أ- أن النثر الفني نشأ مع ظهور الإسلام بظهور ظهور القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

ب- أن النثر الفني نشأ في العصر الأموي بعد توسع الدولة وحاجتها للكتابة وقرب هذا العهد من الفصاحة.

ج – أن النثر الفني نشأ في مطلع العصر العباسي على يد عبدالله بن المقفع مع أنه كان تلميذة لعبد الحميد الكاتب المعروف في العهد الأموي.

د- أن النثر الفني في الأدب ساير ظهور الحس الفني المرهف عند العرب منذ الجاهلية، وهو رأي الدكتور محمود المقداد في كتابه تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية ،ودلالة ذلك استعمال الكهان والخطباء للغة الفنية في سجعهم حيث جود الجاهليون كلامهم الفني، ولكل فن من فنون النثر الأدبي أسلوبه الخاص به ([1]).

أجناس الخطاب النثري:

القرآن الكريم: لقد سحر القرآن الكريم منذ الوهلة الأولى، سواء من شرح الله صدره للإسلام، أو من جعل على بصره غشاوة، فنجد في الحديث عن العرب المعاصرين لنزول القرآن صورة معينة للجمال الفني، الذي سموه تارة شعرا وسموه تارة أخرى سحرا، والدليل على ذلك إيمان عمر بن الخطاب حين سمع القرآن فقال: « فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام». أما عن الوليد بن المغيرة حين سمع شيئا من القرآن الكريم، فكأنما رق له فقال: « إن لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلو وما يعلى »، ولما فكر قال فيه: « إن هذا إلا سحر يؤثر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ومواليه ..» ([2]).

[1]- أشكال خطاب النثر الفني النظري، حسين علي الهنداوي، كتاب مصور بدون دار ولا بلد أو سنة النشر، ص: 37.

[2]- جمالية النص النثري عند محمد الغزالي، أطروحة دكتوراه، فاطنة يحياوي، جامعة وهران، 2014/2013، ص: 08

الحديث النبوي الشريف:

أما الحديث النبوي فلفظه لفظ الرسول، ومعناه من عند الله، ولذلك نسب الرسول الفصاحة إليه فقال: « وأنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر »، وتعليله عليه السلام بأسباب تقويم اللسان إلى أعلى درجة عرفها العرب، يدل على أن لفظ الحديث من لدنه، وأما قوله عليه السلام: « أوتيت جوامع الكلم »، فيحمل على ما آتاه الله من حسان المعاني وكبارها، تجتمع اله تحت لفظة الموجز.

ولم يكن للحديث كتاب يفرض عليهم الكتابة، بل تردد أمر كتابته بين الإباحة والحظر، كما أنه – عليه السلام – وإن أثبت لنفسه هذه الدرجة العليا في الفصاحة بصيغة التفضيل المطلقة – لم يتحدّ بمنطقه، ولم يدع الإعجاز به، ولحكمة الله العلية في حفظ القرآن الذي تكفل له به تم جمعه وعرضه قبل انتقاله عليه السلام إلى الرفيق الأعلى، وأجمع المؤمنون عليه، دون الحديث الشريف حتى تطمئن الأمة على كتابها، وتلزم به الحجة إلى يوم القيامة .([1])

قد رصد ابن الأثير للخطاب النثري أجناسا، نلمس فيها المشهد النثري العربي القديم، الذي يزاوج بين صبغة الشفهية والكتابية، ويمزج بين الخطاب النثري الذي يمثل البداوة وعلى رأسه الخطابة.

1- **فن الخطابة:** تأتي الخطابة على رأس الأجناس ذات الصبغة الشفهية التي عرفها ابن الأثير، فهو يشير إلى ورود ضرب من الترصيع" في الخطب التي أنشأها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباتة – رحمه الله – منتقدا أول خطبه التي قال فيها: "الحمد لله عاقد أزمة الأمور بعزائم أمره وحاصد أئمة الغرور بقواصم مكره، و موفق عبيده لمغانم ذكره، ومحقق مواعيده بلوازم شكره ([2]).

[1]- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د. كمال عز الدين، دار إقرأ، ط. 01، 1984، ص: 23.
[2]- الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لابن الأثير، بن مساهل باية، رسالة ماجستير، 2008، جامعة المسيلة، ص:117.

2 – الوصايا:

يقال في اللغة أوصى الرجل ووصاه أي عهد إليه، ويمكن أن تعد الوصية خلاصة فكرية بكتسبها المرء من تجاربه في بيئته ومجتمعه، وهي تشبه الحكمة والمثل من هذه الناحية؛ بل قد تتكون منهما، وفي الغالب يرتبط استعمال الوصية بإرادة الخير، والتوجيه إلى ما هو واجب من فضائل النفس والسلوك، ويمكن أن تلقي الوصايا ضوءا مهما على العلاقات الاجتماعية السائدة، وعلى تطور القيم والأفكار في مجتمع بعينه ([1]).

وقد حفظت لنا كتب القدماء كثيرا من وصايا العصر الجاهلي؛ وهي في مجملها، تصور نظاما اجتماعيا يقوم على وحدة القبيلة وعلى ترابطها، ويمكن تقسيم هذه الوصايا إلى قسمين بالنظر إلى من صدرت عنهم:

أولا: وصايا الحكماء والمعتمرين لبني قومهم: ومن هؤلاء أكثم بن صيفي، وقس بن ساعدة الإيادي، والأفوه الأودي. وما جاء في إحدى وصايا الأفوه لقومه، قوله: « كونوا من الفتن على حذر، ولا تأمنوا على أحسابكم من السفهاء، ولا تشركوهم في سركم، فإنهم كالضأن في رعيتها، كلامهم ذعر، ونعلهم عسر، لا يستحيون من دناءة، ولا يراقبون محرما ... » ([2]).

ثانيا: وصايا الآباء للأبناء؛ وأكثر هذه الوصايا قالها أصحابها في أواخر حياتهم أو عندما حضرتهم الوفاة؛ ولذا فهي تتضمن خلاصة تجاربهم تساق في حكم ومواعظ وكثيرا ما كان الأبناء يلتزمون بهذه الوصايا، فيذكر أن معبد بن زرارة لما أُسر لم يفده أخوه لقيط الذي التزم بوصية والده، ومنها: « لا تؤاكلوا العرب أنفسكم، ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فيدرب بكم ذؤبان العرب، ويكون على أهل بيتكم سنة سبكا... » ([3]).

واضح من هذا القول أن زرارة يوصي أولاده ألا يدفعوا فدية الملوك إذا أسروا، وأن يكتفوا بدفع الفدية التي يدفعها العامة، وهي: مئة بعير. وقد روي أن لقبطا لم يخرج عن ذلك عندما طلب معبد ندية نفسه وكان موسرا.

---

[1]- فنون النثر العربي القديم، تأليف جامعة القدس المفتوحة، ط. 2007، ص: 17.
[2]- نفسه، ص: 18.
[3]- نفسه، ص: 23.

4- المقالة:

فن نثري يطلق في العصر الحديث على الموضوع المكتوب الذي يوضح رأيا خاصا وفكرة عامة، أو مسألة علمية أو اقتصادية أو اجتماعية يشرحها الكاتب ويؤيدها بالبراهين، والمقالة من الأدب بمعناه العام أو العلم بمعناه الخاص من العلوم التي تقوم على عنصرين رئيسيين: المادة والأسلوب العبارة؛ ولها بعد ذلك خطة "أو أسلوب عقلي، ولما كانت المادة من المسائل الفكرية التي ترمي إلى التعليم والإقناع؛ وجب أن تكون صحيحة، بريئة من الأخطاء والتناقض، حتى تؤدي إلى نتائج معقولة ولا بد من الحيطة في تقرير الأحكام والنتائج، فإذا تحقق الاستقرار أمكن تعميم الأحكام والا اقتصد الكاتب فيما يقول، وبقدر كمية المعلومات وجدتها تكون قيمة المقالة. وأما خطأ المقالة فهي أسلوبها المعنوي من حيث تقسيمه، وترتيبه لتكون قضاياه متواصلة ([1]).

معنى ذلك أن تكون كل قضية نتيجة لما قبلها مقدمة لما بعدها حتى تنتهي جميعا إلى الغاية المقصودة. وهذه الخطة تقوم على المقدمة والعرض والختام.

جمالية الخطاب النثري:

لا شك أن متعة النثر تكمن في أن الأدباء العرب قد كتبوا أفكارهم، ورسموا مشاعرهم، وحكوا قصصهم، واستفاضوا بعواطفهم؛ من خلال أشكال وقوالب أدبية نثرية ممتعة متعددة اقتضتها تجاربهم الحياتية، وظروفهم الشخصية والنفسية والاجتماعية والقبلية والدينية المعاصرة لهؤلاء الأدباء وهذه القوالب أو الفنون.

[1]- أشكال خطاب النثر الفني النظري، حسين علي الهنداوي، كتاب مصور بدون دار ولا بلد أو سنة النشر، ص: 283.

خاتمة:

تحتاج عملية تعليم البلاغة العربية إلى تكامل عدة أطراف لضمان نجاحها؛ من ذلك جهود الأساتذة في بث الدافعية وإحياء الرغبة؛ ذلك أن الكثير من الطلبة يمتلكون مهارات وقدرات عالية في مجالات عديدة، دون أن ننكر جهود الطالب الفردية والجماعية ولا نغفل أثناء تدريس البلاغة (الإملائية، أو النحوية، أو الصرفية، أو الأسلوبية)، ولعل ما يطابق حال المخاطب أو المتلقي من الكلام مع فصاحة مفرداته، وفصاحة جمليه المركبة هو الكلام البليغ هو الموجز المفيد في قوله دون تكرار مقيت أو دوران ممل، ويرتقي الكلام البليغ بأساليبه في سلم بدرجات متفاوتات فيكون بعضه أبلغ من بعض، حسب الطبقة التي هو منها، والملائمة للمتلقي الذي يراد إبلاغ المعاني المراد توصيلها إليه، مزينة بزيناتها التي تعجبه وممتعه، وتهز مشاعره، وتستأثر بجوانب فكره ونفسه من الداخل والخارج.

وتأتي مرحلة التذوق، وهنا يكشف الأستاذ بخبرته وبراعة أدائه ما في النصوص من بلاغة وجمال في صورته التعبيرية، وكيف أن هذه الصورة البلاغية موظفة لخدمة المعنى في النص الأدبي، وأننا بغير هذه الصور البلاغية تعقد كثيرا من الحسن المعروض فيه المعني، فيبسطها لطلابه حسب ما أتيح له من كفاءة وبراعة وقدرة على التوصيل، دون أن نغفل عما أيح له من وسائل تعليمية تذلل له صعوبات تلقي الدرس البلاغي تعليميا.

وقد دعمنا هذه الدروس بشيء من الشواهد؛ هذه الشواهد فيها من القديم المتداول والجديد المتفرد في بابه، وكانت النصوص المستعملة في الشواهد، خليط بين آيات قرآنية أولا وأحاديث نبوية ثانيا، وأبيات شعرية ثالثا، وكان تكثيفها يهدف إلى التطبيق التبسيط والتسهيل قدر الإمكان محترمين الانتقال من الكلي إلى الجزئي من القاعدة، محاولين قدر المستطاع – أن تكون نصوصا متداولة مفهومة لا لبس فيها، تهدف في كل مرة إلى تنمية الحس البلاغي والنقدي من طريق وضع علوم البلاغة في خدمة النص وكشف جمالية الصورة، لننسخ من أذهان طلابنا الأعزاء.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أساليب بلاغية، الفصاحة، البلاغة المعاني، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، ط. 01، الكويت، 1980.

2- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، تحق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط. 01، بيروت - لبنان، 1422هـ / 2001م.

3- أسرار التقديم والتأخير في لغة القران الكريم، د. محمد السيد شيخون، دار الهداية للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.

4- أشكال خطاب النثر الفني النظري، حسين علي الهنداوي، كتاب مصور بدون دار ولا بلد أو سنة النشر.

5- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط. 01، 1416هـ/ 1996م.

6- البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2002م.

7- البلاغة المُيُسَرة، عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن الحزم، ط. 02، 1432هـ/2011، بيروت - لبنان.

8- البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، د. ت.

9- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، الإسكندرية، ط. 09، مصر،1995م.

10- البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 10، 2005م.

11- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، تر وتعل: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب.

12- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، تر وتعل: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.

13- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. حسن البصير، وزارة التعليم العراقية، ط. 02، 1999، العراق.

14- البلاغة والسرد، محمد مشبال، منشورات كلية الآداب، تطوان، المغرب، ط. 01، 2010.

15- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحق، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت، ج1.

16- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د. كمال عز الدين، دار إقرأ، ط. 01، 1984.

17- الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لابن الأثير، بن مساهل باية، رسالة ماجستير، 2008، جامعة المسيلة.

18- الشعر والشعرية، محمد لطفي اليوسفي، الدار العربية للكتاب، 1992.

19- الشعرية العربية الأغراض والأنواع، رشيد يحياوي، إفريقيا الشرق، ط. 01، 1991م.

20- الشعرية، أحمد مطلوب، منشورات كلية الآداب، جامعة بغداد، ذ. ت.

21- الشعرية، تزفيطان طودوروف، تر: شكري المبخوت، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط. 02، 1990.

22- العُمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، أبو علي ابن رشيق القيرواني، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط.05، 1981م.

23- القرآن الكريم برواية ورش

24- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط. 02، 1409هـ / 1988م، القاهرة.

25- المصباح في المعاني والبيان البديع، بدر الدين بن مالك، تحق: حسني عبد الجليل يوسف، ط. 01، 1409هـ / 1989م.

26- الملل النِّحَل، أبو الفتح أبو بكر أحمد الشهرستاني، تحق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 1387هـ / 1968م، القاهرة.

27- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط. 15، 2008م، مصر.

28- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

29- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.

30- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، د. ت، د.ت.

31- جمالية النص النثري عند محمد الغزالي، أطروحة دكتوراه، فاطنة يحياوي، جامعة وهران، 2014/2013.

32- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط 01،

- دراسات في البلاغة العربية، عبد العاطي علام، منشورات جامعة تونس، ط . 01، 1997،

33- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.

34- ديوان امرئ القيس، تحق: عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت–لبنان، 1425هـ/ 2004م.

35- رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحق، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1384هـ / 1964م، بيروت.

36- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، ط. 01، الكويت،1393هـ / 1973م.

37- علاقة البلاغة بالتداولية، د. عمار لعويجي، مقال منشور، العدد 12 سبتمبر 2017.

38- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني،د. محمد أحمد القاسم، و د. محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط. 01، 2003م، لبنان.

39- كتاب البديع، أبو العباس عبد الله ابن المعتز، شرح وتحق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط.01، بيروت – لبنان، 1433هـ / 2012م.

40- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، دار إحياء الكتب العربية، 1371هـ.

41- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، ط. 01، لبنان،1996م.

42- لسان العرب، ابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت ،(د.ت).

43- معاني النحو، فاضل صالح السمرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط. 01، 1420هـ / 2000م، الأردن.

44- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة المهندس، كامل المهندس، مكتبة لبنان، 1984م.

45- مفتاح العلوم في البلاغة، أبو بكر محمد بن علي السَّكاكي، تحق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط. 01، بيروت – لبنان، 1403هـ / 1983م.

46- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تح: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط. 01.

47- منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط. 03، 1986م.

48- وفيَّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو بكر ابن خلكان، تحق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.

فهرس الموضوعات.

فهرس الموضوعات.

العنوان	الصّفحة.
البسملة	1
شكر	2
مقدمة	3
المحاضرة الأولى؛ علم البلاغة مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه – آراء أهل المشرق والمغرب	5
تعريف البلاغة	5
نشأة البلاغة وتطورها عبر العصور الأدبية	8
تطور البلاغة العربية	9
التعريف بالجاحظ	9
كتابه البيان والتبيين	10
1/ المهتمون بإعجاز القرآن	11
2/ المهتمون بالبيان بصفة عامة، وما الإعجاز إلّا موضوع من مواضيعه، وخير من يمثل هذا الاتجاه	12
فروع علم البلاغة	14
علم المعاني	14
علم البيان	16
علم البديع	17
آراء أهل المشرق والغرب في البلاغة	17
آراء أهل المغرب في البلاغة:	18
المحاضرة الثانية؛ أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة – المجاز عند المعتزلة أنموذجا –	19

المعتزلة فكرها واختلاف علمائها	22
المعتزلة ومسألة القدر	22
المعتزلة والمجاز	23
تعريف المجاز:	24
المحاضرة الثالثة؛ الأسلوب الخبري وأضربه	26
تعريف الصدق	26
تعريف الكذب	27
الفائدة من الخبر	28
أضرب الخبر	29
أدوات تأكيد الخبر للسامع	31
أغراض الخبر	34
المحاضرة الرابعة؛ الأسلوب الإنشائي أنواعه أضربه أغراضه:	36
الأسلوب الإنشائي	37
الأسلوب الإنشائي الطلبي	37
الإنشاء غير الطلبي	37
المحاضرة الخامسة؛ التقديم والتأخير / الفصل والوصل	51
التقديم والتأخير	51
تعريف الجملة من منظور بلاغي وتحديد أركانها	56
أنواع الجملة العربية	57
المحاضرة السادسة	62
الحقيقة والمجاز، أنواع المجاز	62
تعريف المجاز	62

أنواع المجاز	62
المحاضرة السابعة، التشبيه وأضربه	67
التشبيه وأضربه	67
التشبيه أركانه وأنواعه وأغراضه	69
أركان التشبيه	71
أنواع التشبيه	71
المحاضرة الثامنة؛ الاستعارة والكناية	80
الاستعارة والكناية	80
الاستعارة؛ أنواعها وجمالتها في الكلام	80
أنواع الاستعارة	81
أثر الاستعارة في الكلام؛ بلاغة الاستعارة	83
تعريف الكناية	84
المعنى اللغو:	85
المحاضرة التاسعة؛ المطابقة / المقابلة	88
المطابقة / المقابلة	88
المحسنات البديعية	88
أولا: المحسنات الجمالية المعنوية	88
ثانيا: المحسنات اللفظية	89
المحاضرة العاشرة؛ الجناس	91
الجناس	92
سر جمال الجناس	93
المحاضرة الحادية عشر؛ السجع	93

السجع	93
المحاضرة الثانية عشر؛ البلاغة والأسلوبية	95
تداخل البلاغة والأسلوبية	95
المحاضرة الثالثة عشر، البلاغة والشعرية	96
بين الشعر والشعرية	96
مكونات الشعرية	99
الشعرية والجمالية	100
علاقة البلاغة بالتداولية	102
البعد التداولي للبلاغة	103
المحاضرة الرابعة عشر؛ بلاغة الخطاب النثري	104
مفهوم النثر والخطاب النثري	104
الأنواع والأجناس الأدبية النثرية	105
أنواع النثر	105
أجناس الخطاب النثري	107
القرآن الكريم	107
الحديث النبوي الشريف	108
جمالية الخطاب النثري	110
خاتمة	111
قائمة المصادر والمراجع	112
فهرس الموضوعات	117